المنتدى

مجلّة فكريّة ثقافيّة يصدرها مرّة كل شهرين
منتدى الفكر العربي

العدد ٢١١ المجلّد الثّامن عشر (٤)
تمّوز/يوليو ٢٠٠٣

الانتماء والإنماء

٢١١
عدد ممتاز

في هذا العدد

ملفّ خاصّ

الحسن بن طلال

في ذكرى رحيل فيصل الأوّل

المسألة العراقيّة

منتدى الفكر العربيّ

الرّئيس والرّاعي

سموّ الأمير الحسن بن طلال

President & Patron
HRH Prince
El Hassan bin Talal

الأمين العام

عبد الملك يوسف الحمَر

Secretary-General
Abdul Malik Yousuf
Al-Hamar

منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ معاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامة.

يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
٢- دراسة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربي، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهاماً فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.
٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

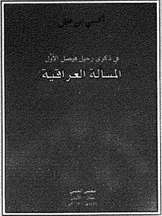
ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة: وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية: ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.
٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية: وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضراً ومستقبلاً.
٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الاستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهمّ المثقف والمواطن العربيّ.

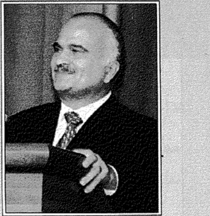
ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشىء من أجلها.
٢- عضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربي المشترك.
٣- عضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.



أنظر
ص ٧-١٦



المنتدى

مجلّة فكريّة ثقافيّة يصدرها مرّة كل شهرين
منتدى الفكر العربي

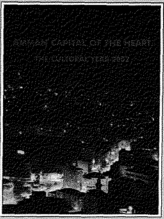
١٨ (٤) ٢٠٠٣

تموّز/يوليو ٢٠٠٣

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٣ / ٢٠٠٣ / د)

المحتويات

المنتدى العدد ٢١١ تموز/يوليو ٢٠٠٣



أنظر
ص ٥٨-٥٩



كلمــة أولى

أ. د. همّام غصيب

رئيس التّحرير

يُلاحظُ قارئنا أنّ عـددَنا هذا يخـرجُ بحلّةٍ جـديدة. والسّبب ليس فـقط لأنّنا نحبّ التّجـديد ونـنشـدُهُ دائـمـاً، وإنّمـا أيضـاً لأنّ طاقمَ الإخـراج تغيّـر مـؤخّـراً. فانـتقلت السـيّـدة أمـاني السّـوقي من المنتـدى إلى مـجـلس الحسن، بـعْـدَ خـمس سنواتٍ من العـمل سكرتيـرةً للمطبـوعـات في المنتـدى. وحلّ محلّها الآنسة مي الحلتة، مَعَ فريقٍ كفء من جـريدة الدّسـتـور الأُردنيّـة. فنُهنّئ السيّدة السّوقي والآنسة الحلتة، ونتمنّى لهما دوامَ العطاءِ المثمرِ الخيّر.

كذلك يُلاحظُ قارئنا ملفّنا الخاصّ عن المسألة العـراقـيّـة. وهو مكوّنٌ من ستّ مقالات (أو مقالةٍ واحدة من ستّة أجزاء) نشـرَها رئيسُ المنتـدى وراعـيـه في جـريدة الحياة اللندنيّة، ورأينا أنْ نجمعَها معاً هنا، وبيْنَ دفّتي كتيّبٍ صدرَ مؤخّراً.

ها جـسُنا الآنْ أنْ نُطوّرَ المضـمــون. وخطوتُنا الأولى في هذا الاتّجــاه أنْ نستكتب. فهذه دعوةٌ لأعضائنا وكُتّابنا في كلّ مكان أن يجـعلوا المنتـدى بَيْتَـهم ومِحْرابَهم ومِنْبَرهم. ونحن بالانتظار.

جولـة العـدد

خاطرة

أيّ فكرٍ عربيّ؟

عبد الملك يوسف الحمر/ الأمين العام

منذ بضع سنوات جذبني عنوان كتاب «هل هناك عقل عربي؟» لمؤلفه د. هشام غصيب، الذي يشغل حالياً منصب رئيس جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا.

وكأنه يستبق الأحداث الجارية وأحوال البلاد العربية في القرن الحادي والعشرين: سؤال في كتاب، أو كتاب في تساؤل يرتقي إلى مرتبة الفرضية التي تستحق المزيد من البحث والتقصي والدراسة. وعلى وجه الخصوص، بعد أن خسر العرب، دون استثناء، فترة القرن العشرين في تقهقر بحتوي ملحوظ مقارنة بأي دولة أخرى، وفي تخلف أبرزه وأوجزه تقرير التنمية العربية الإنسانية لعام ٢٠٠٢ في مسائل ثلاث: غياب الحرية، وتعطيل دور المرأة، وضحالة المعرفة في عصر المعلوماتية والثقافة.

وهنا هرول المتحذلقون من "المفكرين" العرب راقصين بجلجلة أصواتهم أننا، أي العرب، قد انتقلنا إلى عصر المعرفة! هكذا وببساطة عفوية لا شعورية أخذنا نكثف الندوات، ونتسابق إلى الحوارات، بما فيها ما هو متعارف عليه، مثل حلقات العصف الذهني أو الدماغي، نجتر خلالها صراعات فكرية أطلق عليها أحد الباحثين الجادين «ملاكمات نقاشية»! نعود خلالها إلى مغالطة هندسية قديمة مفادها أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان؛ أي أن العرب لا يتفقون على رأي واحد، ولا على موقف واحد، وبالتالي لا ينتمون حالياً إلى فكر حضاري موحد! هنا تكمن إشكالية المرجعية التي يستفسر عنها الكثيرون من المهتمين بالفكر (العربي) دونما اتفاق حتى على عناصرها الأساسية: هل هناك شتات تكويني أم تشتيت ذهني؟ أم أنّ كليهما معاً يشكلان رزمة من المعضلات الفكرية تندرج من حين لآخر في الصراع أو الملاكمة، أو الاختلاف بين الأصالة والمعاصرة. مرة أخرى: لماذا هذان الخطان المتوازيان يمضيان في محاولة لا تلتقي عند نقطة ارتكاز مرجعي، ولا تؤدي بالتالي إلى آلية، بل آليات، متحركة متطورة تستهدف، على الأقل، بعض المصالح العربية المشتركة.

وهنا لا نغفل عن ما لدى بعض الآخرين من فكر ملّوث انتشر غباره بشرائح من الكذب والنفاق في المعاملات العامة، بما في ذلك العلاقات الدولية.

وفي سباق غير مسبوق في تاريخ الفكر الحضاري يطغى اللاشعور، بما في ذلك النفس الأمّارة بالسوء، ما بين العربي والعربي؛ فنلاحظ كمتفرجين غياب أو تغييب العقلانية، بعد أن وضعها الخالق بمثابة رأسمال حقيقي في مرتبة عليا، بل الأعلى حينما نفكّر ونتدبّر شروط التنمية الشاملة المستدامة!

ومن المرجح أن تكون هناك علاقة بين الفكر، والفكر الاستراتيجي منه خاصة، وبين التنمية. غير أن هذه ليست في جميع الأحوال علاقة طردية أو مستقرة!

قد يختلف فلاسفة الفكر على ترتيب عناصر التطور؛ إلاّ أنهم منذ عهد أفلاطون يتفقون على ثلاثية تشمل الرأس والصدر والأطراف. هنا يحتفظ الفلاسفة بالرأس باعتباره الأعلى في بنية الإنسان، وكذلك مركز المليارات من خلايا التنوير القيادي والإبداع الفكري، والاستشراف المستقبلي، ومصدر النقد الذاتي، ومنبع الانضباط الاجتهادي. لذا فإن المسألة ليست بهذه البساطة حينما نضع ثلاثية التطور تحت مجهر المفاضلة بين ثقافة وأخرى، أو بين حضارة وأخرى، أو بين فكر وآخر. ففي سياق التفاضل والتكامل الفكري نأخذ بعين الاعتبار ما يحتويه وما يمثله أي فكر من مقاصد ذات نوعية، ومن مكونات منهاج مادته، ومن آليات عمل متطورة، ومن إمكانات تجديد ذاتية، ومن منتجات حضارية معطاءة للآخرين أيضاً.

وهكذا يتواصل الفكر حياً حفّازاً، فيثبت أن له دوراً في بناء الحضارة الإنسانية، وأن للفكر حضوراً ريادياً متميزاً لا يُستغنى عنه عبر الأمكنة والعصور.

فالفكر بذلك قد يكون كلمة، وقد يكون وجهة نظر فلسفية، وقد يكون عقيدة، وقد يكون اختراعاً مبدعاً، وقد يكون مؤسسة... وهكذا نلاحظ أن تنوع مظاهر الفكر وفاعلياته دليل على دوره المتميّز وسمته الثابتة. من هنا، وبكل التأكيد، لم تزل لأي مؤسسة فكرية مسؤوليتها في تفعيل المجتمع، بل إحداث تغير حيوي رائد أيضاً.

غير أن ما يواجهنا في أرجاء وطننا العربي يكاد يوصف بأزمة فكرية وانحباس ذهني في بيئة غير حميدة! وحينما نقارن ما تراجع إليه الفكر العربي في القرن الحادي والعشرين بما كان عليه من فكر مضيء في القرن التاسع عشر أبرزته مصفوفة من حركات إصلاحية لها روادها، نجد في الوقت الحاضر تناقضاً واضحاً بين الحلم العربي مثلاً والعمل العربي. لا مناص أن إشكالية هذا التناقض تكمن في تغييب أو غياب الفكر العربي الراشد.

وفي هذا السياق نسجل على أنفسنا غياب العقلانية حتى في رعاية مصالحنا المادية المشتركة التي نجترّها مراراً وتكراراً على شكل رسوم ضاحكة قد تعكس روح اللامبالاة، يتم رصد تداعياتها إلى مستوى الإحباط النفساني يحبس بين طياته فكراً ضبابياً لدى الأفراد والمؤسسات معاً.

ومن نافلة القول أن نستعيد ذاكرة التاريخ لنضع أمامنا حقيقة التغييرات الكبيرة التي لم تحدث لولا وجود فكر وقّاد يعمل على تحريكها وتحريرها من قيود الجمود والتخلف. فأي فكر إليه ننتمي؟ وأي فكر به نستهدي؟ وأي فكر به قبسٌ يُطلق بحرارة ومحبة طاقاتنا العربية الكامنة؟ ■



رسالة مفتوحة

افتتاحيّة إلى الشّباب العربيّ *

الحســن بن طلال

أُحـيِّيكـم من القَلْب تحـيّةَ المُحبِّ لكـم المُعْتزِّ بكم. فـانتم تُجسِّدونَ أنبلَ السّجـايا والشّمائل وأروعَ المُثُل والقيَم. ولعلّ أبرزَ هذه وتلك الإيثارُ والغَيْريّة؛ أي التّـفكيرُ بالآخَر. وكأنّكم تُردّدونَ مَعَ فيلسوفِ المعرّة وشاعرِها:

ولو أنّي حُبيتُ الخُلْدَ فَرْداً

لَمَا أحببْتُ في الخُلْدِ انْفِرادا

فلا هَطَلَتْ عليَّ ولا بأرْضي

سَحَائبُ ليْس تَنْتَظِمُ البِلادا

رأيْنا ذلك بجَلاء في أعمالِكم التّطوُّعـيّة التي اتّسَعَ طيْفُها ليَـشْمَلَ الخِـدماتِ الصّـحّيّـةَ والبيـئيّةَ والاجـتمـاعيّـةَ بكُلِّ مناحيها. كذلك امتدّتْ فضاءاتُها داخلَ الوطنِ وخارجَه.

لمْ تَتْركوا نشاطاً مفيداً إلاّ مارسْتُموه، ولا تجربةً غنيّةً إلاّ خُضْتُـموها. كنْتُم الرّوّادَ والكشّافةَ والمُغـامِرين. وكُنْتمْ رُسُلَ محبّةٍ وتضْحيةٍ وتوْعية.

ترَبّيْتُمْ من أجْلِ المسـتقبَل؛ وأنتمْ ورثَةُ المستقـبَل. تعلّمْتُمْ كـيف تُحاوِرونَ الآخَـر، وكـيف تُناجُونَ الطّبـيـعة، وكـيف تملكونَ الوقْت.

نأيْتُمْ عن التّناحُر. فالأهمّ عندكم المشاركةُ وروحُ الفريق. لا ثُنائيّـات وإنّمـا تناغُمـات: بيْنَ الرّوحِ والبدَن؛ والتّنظيرِ والتّطبـيق؛ والخيالِ والواقـع؛ والإرادةِ والفِعْل؛ والرّفـاهيةِ والعَمل.

أدّيْتُم الواجباتِ قبْلَ أنْ تسالوا عن الحقوق. تمسّكْتم بحقّ الكرامــةِ وحقّ الحُــرّيّة. وأدركْـتم أنّ ســقْفَ الحُــرّيّة هو المسؤوليّة. وما ذلك إلاّ لتُنافحـوا عن كرامةِ الإنسانِ وحُرّيّته في كلّ زمـانٍ ومكان، ولِتَنْتـفضـوا ضـدّ الظُّلْمِ والحَيْف. فـلا حيـاةَ دونَ عدالة؛ ولا تنميـةَ دونَ عدالة؛ ولا إنماءَ أو انتـماءَ دونَ عدالة.

أقول: «إنماء وانتماء». وذاك هو الشّـعارُ المشترَكُ لجائزة الحسـن للشّبـاب ولمنتدى الفكْرِ العـربيّ. والمنتدى الآن يُـعدُّ العُدّةَ لعقْدِ ندوةٍ جامعة عن قـضايا الشّبابِ العربيّ في العام القادم. والمقـصود: الشّباب العـربيّ في كلّ مكان؛ إذْ لا تنويرَ ولا تطويرَ دونَ شـبابِنا في المهجر. وقـد تكونُ هذه فرصـةً للمـبـادرةِ إلى تاسـيسِ أنـديةِ حـوارٍ للشّـبـاب في المدارسِ والمعاهدِ والجامعات تحتَ خيْـمة "برلمان للشّباب العربيّ". فلا بُدّ من المَأسَسَة إذا أردْنا أنْ تتـراكمَ الخِبْراتُ والتّـجارِب، وتنشأ الأعْرافُ والتّقاليد، وتَرْسَخَ المَناهجُ والمَنْهجيّات.

ومثْلما أنّ برلماناً كهذا سـيكونُ منْبراً لفنِّ المحادثة النّبيل،

* عن الحياة اللّندنيّة في ٢٠٠٣/٦/١٢؛ ص١١ [بتصرُّف قليل].

فـإنّ "برلمانَ الثّقـافات"، الـذي كان لي شـرفُ المشاركـة في تأسيسـه مؤخّراً في تركيـا، سيُصبحُ آليـةً من الآليّات المُثْلى لإجراء حـوارٍ مُكثّفٍ ومُعمَّقٍ بين الثّـقافات في إطارِ حـضارةٍ عالميّةٍ واحدة.

كذلك كان لي مـؤخّراً شَرفُ المشاركة في تأسيسِ مبادرة "شركاء في الإنسانيّـة"، التي تهدفُ إلى تحسينِ الفَهْم وبناء عَلاقـات إيجابيّـة وإعْلاء شـأنِ الحوار بين العالَـم الإسْلاميّ والولاياتِ المتّحـدة، خصوصاً في مـجالَي التّربيـة والتّعليم والإعْلام: مـجالِ التّربيةِ والتّـعليم لأنّ منهُ ينطلقُ كلُّ شيء؛ ومجالِ الإعْلام لأنّهُ فـاعلٌ ومؤثّر في تشكيلِ أفكارِنا وأذواقِنا وحتّى باطنِنا.

من هنـا، فـإنّني ناديْتُ وأُنـادي بتكْوينِ فـيـالقَ من الإعْلاميّينَ الشّبـاب، الذين يتمـتّعـونَ بالنّزاهة والصِّدْقيّة وبالحصافـة والجَراءة، لنَقْل الحَدَث كمـا هو دونما أيّ تحيُّزٍ أو هوىً. والأحْـداثُ الجِـسـامُ التي عـصـفتْ بنا، ولا تزالُ تَعْصف، لَتُـؤكّدُ أهمّيّةَ ذلك. وهذه تحـيّةٌ أُخرى أُوجّهُـها إلى الإعْلام العـربيّ الذي بدأ يشبُّ عن الطّوْق ويشتدُّ عُودُه، كـما سبقَ أنْ فعلْتُ على صفحـاتِ الحياة والحربُ في العراق على أشُدِّها.

علينا أنْ نتساءلَ دائماً: ماذا وراءَ الأكَمات والأحْداث؟ ماذا وراءَ ذلك الفيْضِ من البـيانات والمعلومـات؟ أين الإنسانُ في خِضمّ الأخبارِ والدّعاية والإعْـلان؟ أين هو في مَعْمعانِ العلْم والتّكنولوجيـا وبيْن أنابيبِ النّفط والغاز؟ ألاَ من سيـاسـات بعـيـدةِ المدى تسـتندُ إلى رؤىً نافذة؟ سـيـاسـاتٍ من أجْلِ الإنسـان، لا سـيـاسـاتِ نفْطٍ أو أسلحـةٍ أو حـتّى أدوية؟ سياسـاتٍ تتصدّى لغطرسة القوّة المطلقـة في النّظام العالميّ الجـديد الذي بدأ يتـشكّل بُعَـيْـدَ أحـداث الحـادي عـشـر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١؟ ألاَ من دستورِ سلوكٍ يقومُ على عالَميّة القِيَم الإنسانيّـة وأخْـلاقيّـات التّضـامُنِ الإنسـانيّ، لا على المصالحِ الماديّة وَحْدَها؟

إنّ عـالَمَنا اليوْم، أيُّهـا الأحبّاء، يَنوءُ بقـائمـةٍ طويلة من الأحمالِ الثّقال. فهنالك الحِـرْمان، والفَقْرُ الرّوحيّ والوِجْدانيّ والماديّ. وهنالك الأمّـيّة: أُمّيّـةُ الحَرْف وأُمّـيّةُ الرّقْم والأُمّـيّةُ الحاسُوبيّة، والبطالة، والجهالة، وصِراعُ الجهالات. وهنالك العُنْف، ولغـةُ الحـديد والنّار، والافـتـقـارُ إلى حُكْمِ القـانون والحُرّيّاتِ المدنيّة، وتسْييسُ العسكر، والفسادُ بشتّى أنواعه ومظاهره. وهـنالك الاعـتـداءُ على الحُـرّيّات والكرامـات، وزعْزعةُ الأمْنِ الإنسانيّ والتّوازُنِ البيئيّ، وتشويشُ الصّحّة النّفسيّـة، وتهمـيشُ فئـاتٍ ومجـتـمعـاتٍ بشـريّة بأكملهـا، والغُـرْبةُ والاغـتـراب، ومـا إلى ذلـك من آفـات تُقَـزِّمُ الرّوحَ والوِجْدان.

وكـما أقـول دائمـاً، فنحن إزاءَ مـعـادلة طـرَفاها الخـوْفُ والأمل. والخوْفُ يتنامى ليس من تلك الآفـات وَحْدَها، وليس من "طوَاعين" العَصْر وحَسْب (الإيدز وسـارس وما إليهما)؛ وإنّمـا أيضاً من المجـهول، ومن تضـاؤلِ الفُرَصِ والخـيَارات المتـعلّقة بالحـاضرِ والمسـتـقبَل على حـدٍّ سواء، وحـتّى من مُصادرةِ حقّ تقريرِ المصير. أمّا الأمل فيَشِعُّ منكم وبكم، لأنّكم أبناءُ المسـتـقـبَل. ولَكأنّهُ سـباقُ تتـابُع: تتـسلّمونَ الشُّـعلة، وتصُونُونها؛ ثمّ تُسلِّمُونها إلى جيلٍ لاحق؛ وهكذا.

أنتم حَـمَـلةُ الخطابِ العـربيّ الإسْـلامـيّ الوسَطيّ الذي نَنْشُد، على أمَلِ أنْ يكونَ أترابُكم من الشّبـاب في الغرْب حَمَلَةَ خطابٍ غرْبيّ وسَطيّ.

أتحـدّثُ هنا عـن "تمكينِ" الشّـبـاب، أي مَنْحِـهم نفوذاً وأسْـهُمـاً وأصواتاً؛ تماماً كمـا تحدّثْتُ غـيْرَ مَـرّة عن تمكينِ النّساء والفقراء والمُهمَّشين والهَشّين.

الإنسـانُ في كلّ جُزْءٍ من إقـليمنا المعـذّب يستصْـرِخُكم: الإنسـانُ العـراقيّ بصورةٍ خـاصّـة، والإنسـانُ الفلسطينيّ. وإنّي لعلـى يَقينٍ أنّكم سـتكونونَ رُسُـلَ بناءٍ وإعـادةِ بناء، وإعْـمارٍ وإعـادةِ إعْـمار. ولنْ تسْـتـهدفـوا البنى التّـحـتيّـةَ والماديّات وحْـدَها، وإنّما – قـبْلَ كلّ شيءٍ وبَعْـدَه – العـقـولَ والقلوبَ والذّهنيّات. ■

في ذكرى رحيل فيصل الأوّل

المسألة العراقيّة *

الحسن بن طلال

المقالة الأولى

عِشْ رجَباً ترَ عجَباً

تهلُّ الذّكرى السّبعون لرحيل فيصل الأوّل وقد فرَّط اللاّحقون في الاستقلال الذي حقّقه فيصل والحركة الوطنيّة للعراق. فالجناح الشّرقيّ للأمّة العربيّة يُعاني اليوم من احتلال أجنبيّ لأرضه وسمائه ومائه ونفطه. والفرقة والتّشرذم طريق ممهّد للباحثين عن مصالحهم الصّغيرة. وضياع الأمن والأمان والكرامة يغصُّ في حلوق كلّ الشّرفاء في العراق وفي الأمّة. والجوع يعصف بحياة الملايين من الفقراء أو الذين حرَّم المحتلّ عليهم العملَ في وطنهم. وانتشار الأمراض النّاجمة عن استعمال واسع لم يشهد التّاريخُ له مثيلاً لقذائف اليورانيوم المنضّب جعل أرضَ العراق وماءها وسكّانها في خطر الموت والاندثار أو المعاناة من الخَلْق المشوّه لآلاف السنين! فماذا حدث؟ ولماذا؟ وما المخرج؟

لقد ناضل العرب في آسيا من أجل بناء دولة عربيّة واحدة مستقلّة تقوم على الإسلام الوسطيّ، والتّمثيل الشّعبيّ، وحريّة المواطنين الفرديّة والجماعيّة، وتقود الأمّة إلى التّرقّي الماديّ والثّقافيّ. وعلى الرّغم من وحدة اللّغة في هذا الجُزْء من الوطن العربيّ، ووحدة المصالح الاقتصاديّة، وتشابك النّسيج الاجتماعيّ، فإنّ قرار بريطانيا وفرنسا تقسيمَ الوطن واقتسامَه حالَ دونَ قيام هذه الدّولة. ومن ثمّ، فإنّ كلّ عنف وتطرّف ومأساة نراها اليوم أو سنراها في مقبل السّنين أمر زرع الغرب بذرته بذلك القرار الذي يتعارض بشكل مطلق مع حقّ الأمّة في تقرير مصيرها.

لقد أدّى التفافُ الشّعب العراقيّ حول فيصل الأوّل، خاصّة في المدن معقل الحركة الوطنيّة، إلى وضع القانون الأساسيّ (الدّستور)، وبناء مؤسّسات الدولة، وترسيخ مبدأ المساواة بين المواطنين؛ ممّا سمح للقطار أنْ يتحرّك بشعب العراق نحو العصر: علماً واقتصاداً. وفي غضون أحدَ عشرَ عاماً فقط، نجح فيصل في تحقيق استقلال العراق ليكونَ أوّلَ دولة عربيّة تُقْبَلُ عضواً في عصبة الأمم يومئذ.

* يحتوي هذا الملفّ الخاص على المقالات الست التي نشرتْ في جريدة الحياة اللّندنيّة على مدى ستّة أيّام متعاقبة (٢-٧/٧/٢٠٠٣). [انظر أيضاً من ١٦].

نجح فيصل، ومعه الحركةُ الوطنيّة العراقيّة وشبابُ العراق، في إقامة دولة العراق بحدودها الحاليّة، وإدخال الدّستور إلى حياة الشّعب على نحو أشاعَ التّآلفَ والانسجام والوحدة بين مختلف الأديان والمذاهب والطّوائف، ولم يدفع بالإسلام أو الرّوحِ القوميّة إلى حدود التّطرّف. فكلّ شيء بقَدْر، وكلّ شيء بحسبان؛ ولا تفرّدَ في الرّأي، بل شورى وديمقراطيّة، وسعي حثيث لتحقيق مصالح الشّعب وسط عواصف المصالح الإقليميّة والدّوليّة. وهنا تكمن عبقريّة فيصل.

لقد أدركت بريطانيا ضَرورةَ إعطاء العراقيّين استقلالَهم بعد أنْ نجحت الحركة الوطنيّة العراقيّة في توْريط بريطانيا عسكريًا، وبشكل مباشر؛ ممّا رفع التّكاليف الباهظة للاحتلال. وكانت ثورة العشرين (١٩٢٠) جُزءاً من هذا العمل. وبالمقاومة نجح العراقيّون في تعرية التّصريحات البريطانيّة، وفَضْح الأسس اللاّأخلاقيّة للسّياسة والادارة البريطانيّة في العراق. فبعد أن ادّعى لورد ميلنر أنّ بريطانيا "هي الطّرَف الوحيد القادر على تامين النّظام والعدالة لشعوب [هذه البلدان]، وأنّ انسحابها سيكون كارثةً لهم"، وبعد أن ادّعى لورد بلفور أنّه لا يوجد في الشرق أيّ أثر للحكم الذّاتيّ، انكشفت لعبة النّظام وحقّق العراقيّون – قيادة وشعباً – استقلالَ وطنهم، وظلّت البلاد بعيدةً عن كلّ أنواع النّشاط غيْر المعتدل من حولها.

نقف اليوم وسط الدّمار الشّامل والآثار الكارثيّة لاحتلال العراق وتدمير تربته ومائه وشعبه ومؤسّساته وإنجازاته، لنستذكرَ بعض ما جاء في القانون الأساسيّ الذي حقّقه فيصل بعد مفاوضات مريرة مع المحتلّ؛ وهو ما عُرف بدستور ١٩٢٥:

- العراق دولة ذات سيادة؛ وهي مستقلّة وحُرّة؛ ملْكُها لا يتجزّأ، ولا يُتنازل عن شيء منه.
- لا فرقَ بين العراقيّين في الحقوق أمام القانون، وإن اختلفوا في القوميّة والدّين واللّغة.
- الحريّة الشّخصيّة مَصونة لجميع سكّان العراق. أما التّعذيب ونفي العراقيّين إلى خارج المملكة العراقيّة فممنوع بتاتاً.
- حقوق الملكيّة مصونة.
- المُصادرة العامّة للأموال المنقولة وغير المنقولة مُحرَّمة بتاتاً.
- للعراقيّين حرّيّة إبداء الرّأي والنّشر، والاجتماع، وتاليف الجمعيّات والانضمام اليها ضمن حدود القانون.
- الإسلام دين الدّولة الرّسميّ، وحرّيّة القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لا تُمَسّ، وتُضمن لجميع ساكني البلاد حرّيّةُ الاعتقاد.
- العراقيّون متساوون في التّمتّع بالحقوق المدنيّة والسّياسيّة، وفيما عليهم من الواجبات والتّكاليف العامّة، لا تمييزَ بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللّغة أو الدّين؛ وإليهم وحْدَهم يُعهد بالوظائف العامّة أمدنيّةً كانت أم عسكريّة.

ونَصّ هذا الدّستور على وجود مجلس للأمّة يضم مجلسيْن للنّوّاب والأعيان؛ مثلما نظّم المحاكم بأصنافها المدنيّة والدّينيّة والخاصّة، وكفلَ عدم التّدخّل في شؤونها؛ كما كفل لأتباع كلّ دين ومذهب وطائفة حرّيّة مطلقة في إدارة أوقافهم الدّينيّة والخيريّة، والإشراف على أموال الأيتام.

هذا غيْض من فيْض، وقليل من كثير. وعلى قلّته نقف اليوم والحسرة تملأ نفوسنا على ما فرَّطنا في جنب الوطن، وعلى ما سيأتي من مصائبَ جديدة. ومَنْ يعشْ رجباً يرَ عجباً! فألف رحمة على روحك الطيّبة يا فيصل.

المقالة الثّانية

"هذا بيان للنّاس كافّةً"

كيف نصف الوضعَ الهُلاميّ الضّبابيّ اليوم في العراق؟ هنالك وَصْفان: أمريكيّ، وعراقيّ عربيّ. وأيًا تكنْ تفاصيل كلّ واحد من هذيْن الوصفيْن، وأيًا تكن "النّوايا" "الدّوافع"

و"المقاصد" التي يمكن أنْ يحتجَّ بها كل طرف ويدَّعيها لنفسه، فإنّه لا قيمةَ لهذا على الإطلاق. القيمةُ الحقيقيّة هي لما سيوجد على أرض الواقع. فبالمطابقة بين "الوصف" و"الموجود"، تتحدّد حقيقة "الدّوافع" و"النّوايا"، ويُكشف السّتر عن حقيقة "المقاصد" و"الأهداف".

قوّات التّحالف، وعلى رأسها الولايات المتّحدة وبريطانيا، موجودة في العراق باعتبارها قوّات احتلال. والسّؤال هنا: هل نحن أمام احتلالٍ سيتحوّل إلى استعمار وهيمنة؛ فيشعل فتيلَ ثورة شعبيّة ومقاومة شرسة، يمتدّ الحريق معها وبعدها إلى المناطق المجاورة؟ أم نحن في مرحلة انتقاليّة تريد فيها الولايات المتّحدة بكلّ صدق ونقاء أنْ تبنيَ العراق دولة حديثة بالفعل، وديمقراطيّة حقيقيّة، ومجتمعاً متطوّراً، واقتصاداً سريع النّموّ، لكلّ أبناء العراق؟ إذا صحّ الاحتمال الأخير، فإنّ الولايات المتّحدة ستفتتح به عهداً جديداً مختلفاً تماماً في العلاقات العربيّة الأمريكيّة. ولن يكونَ العراق يومئذٍ مجرّد نموذجٍ ناجح لكلّ جيرانه؛ بل سيتغيّر أيضاً مستقبل المنطقة كلّها. وستجد الولايات المتّحدة أنّها حين تحوّلت من النّظر إلى العرب كمضيفين للنّفط إلى كونهم شركاءَ المستقبل، فقد ضمنت بحقٍّ تحالفاً هي أحوجُ ما تكون إليه. أما إن أسفرت المرحلة الهُلاميّة الانتقاليّة عن عراق مشوّه الكيان، فإنّ الحريق سيودي بكلّ أمل في علاقةٍ طيّبة مع الأمّة العربيّة؛ دعْك من أيّ احتمال للشّراكة.

وبين الاحتمالين السّابقين، اللّذيْن لا أحدَ غيْر الولايات المتّحدة يملك إعطاء الصّدقيّة لأيّ منهما، تقف بعض الشّواهد والأحداث التي يرقبها كلّ عربيّ بصمت، لكن عن كثب:

-كيف نفسّر السّرعة في تدفّق النّفط العراقيّ إلى الخارج، والمواطن العراقيّ لا يجد وقودَ سيّارته؟!

-كيف نفسّر التلكّؤ والتّباطؤ وعدم الوضوح في كلّ ما يُخطّط للعراق؟! هل نحن إزاء الهيْمنة على كنز النّفط ونَهْبه بقوّة المدفع؟ أم نحن بصدد مساعدة الشّعب العراقيّ على استعادة حرّيّته وحقوقه؟ إذاً، أين الحكومةُ الانتقاليّة؟ وأين الدّستور الذي يرضى به الشّعب، وليس الدّستور الذي يُعلن المحتلّ أنّ الشّعبَ قد وافق عليه؟ هل يُراد للعراق أنْ يحقّق مصالحه الوطنيّة، أم يُراد إجباره على العمل ضدّ مصلحته الوطنيّة؟ كيف نفسّر حرمان ملايين العراقيّين من حقّ العيش بحجّة أنّ رَبَّ الأسرة العائل كان عضواً في حزب البعث؟ هل نُريد دمل الجراح ونسيان الماضي والتّحرّك جميعاً نحو المستقبل، أم نريد إبادة قسم آخرَ من هذا الشّعب؟ ألا يحوّل هذا الموقف ملايين العراقيّين إلى قوّة شرسة تقاوم حتّى الموت، ما دام الموت جوعاً هو قرار القاضي الأمريكيّ؟

-هل يؤمن المحتلّ بأنّ الشّعبَ مصدرُ كلّ السّلطات؟ إذاً، أين الانتخابات النّزيهة الممثّلة لكلّ الطّيف؟ هل نريد للعراق أنْ يكون النّموذجَ الطّيّب؟ إذاً، لماذا لا تعيد القوّات المحتلّة كلّ قطعة أثريّة أو فنّيّة أو تاريخيّة نُهبت من متاحف العراق؟ لماذا لا تجري محاكمة علنيّة لكشف كلّ من شاركوا في هذا العمل البربريّ، المعادي للحضارة والدّين والقيَم الخُلقيّة؟ لماذا لا نكشف بالأدلّة من يقف وراءهم، والى أين اتّجهت المسروقات؟ إنّ البيانات لا تكفي لبراءة أيّ دولة من هذا الجُرْم الحضاريّ. فكلّ من فعل هذا يتنصّل بحُكْم الطّبيعة من جريمته؛ لكنّ المهمّ هو الأدلّة الدّامغة التي لا يشك فيها أحد.

-هل تريد الولايات المتّحدة تحقيقَ التّحديث، والتّقدّم الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثّقافيّ للعراق؟ هل تَنظر إلى العراق على أنّه أكثرُ من بضع مئاتٍ من آبار الذّهب؟ إذاً، لماذا يتراجع النّشاط الاقتصاديّ في

العراق على نحو يُفقرُ الجميع؟ وهل هنالك احترام حقيقيّ لا لفظيّ للخصوصيّة الثقافيّة للمسلمين في العراق على اختلاف مذاهبهم؟ لماذا ترفض الإدارة الأمريكيّة إجراء انتخابات للمجالس المحلّيّة، على بُعْد هذه عن تحقيق إدارة سياسيّة وطنيّة؛ إذ إنّ الأخيرة لا تكون بغير انتخابات عامّة شفّافة لقيام مجلس أمّة؟

-الأمريكيّون يتحدّثون عن "إعادة إعمار العراق". فهل نحن أمام "فرص" للشّركات الأمريكيّة لكسب مال الشّعب العراقيّ؟ أم أمام إعمار تشرف عليه جهات ذات مسؤوليّة وطنيّة وخُلقيّة؟

إنّ كلّ سؤال لا بدّ أن يستلزمَ من الشّعب العراقيّ موْقفاً: إما المضيّ مع أمريكا لغاياتٍ نبيلة، أو إشهار سلاح المقاومة!

المقالة الثّالثة

الجُرح العراقيّ عربيّ أوّلاً

ليس في وُسْع أحد أنْ يُوهم العراقيّين بأنهم الآن أحرار. إنّ التّصرّفَ بمنطق "حقّ المنتصر" مختلف تماماً عن التّصرّف بمنطق الانتصار لحقّ الشّعب العراقيّ في تقرير مصيره والتّمتّع بكلّ حقوقه. ففي الحالة الأولى سيتمّ تدمير كلّ أُسس الأمن الإنسانيّ في العراق؛ وستُلغى كلّ الحرّيّات، بما فيها حقّ الحياة وحقّ العمل في الوطن؛ وستُفتح أسواق العراق بقوّة السّلاح أمام بضائع المحتلّ وحلفائه؛ وسَيَعْتَبِرُ المُحْتَلُّ المقاومة إرهاباً!

من المؤكّد أنّه إذا أعطى الاحتلالُ حقّاً للمُحْتَلّ بنَهْب الثّروة الوطنيّة للدّولة المحتلّة، وتدمير آثارها الحضاريّة وفنونها، وتشويه دينها ومسْخه، فإنّه يُعطي في اللّحظة نفسها حقّاً مطلقاً غير مشروط لكلّ عراقيّ في مقاومة الاحتلال بكلّ صوره. فهل نقول: إنّ أمريكا مع العراق؟ أم نقول فقط إنّ أمريكا في العراق؟! من الضّروريّ أنْ يتذكّرَ الجميع أنّ حقّ المنتصر ليس حقّاً مشروعاً؛ وأنّ الانتصار الحقيقيّ ليس في الدّمار ولا في النّهب ولا في الإذلال: إنّه الانتصار على غرائزنا وجشعنا وأنانيّتنا؛ وإلاّ فإنّ "الانتصار" مسألة متداولة تاريخيّاً بين كلّ "الطّغاة" وبين كلّ المؤمنين بالإنسانيّة: ؟ ﴿وتلكَ الأيّامُ نُداولُها بيْنَ النّاس﴾ [سورة آل عمران (٣): الآية ١٤٠].

يقول المتشكّكون من العرب: من الصّعب أنْ نثقَ في كلمات الولايات المتّحدة الموجّهة للعرب. لقد استعملت الولايات المتّحدة حقّ النقض (الفيتو) في مجلس الأمن أربعةً وثلاثين مرّةً لحماية إسرائيل والنّظام العُنصريّ السّابق في جنوب إفريقيا، ولم تستعملْه ولو مرّةً واحدة دفاعاً عن حقّ أيّ شعب عربيّ. وهي ترفض بكلّ غضب أنْ يذكّرَها أيّ إنسان برفض إسرائيل تنفيذَ أيّ قرار لمجلس الأمن طيلة خمسين عاماً. وفي الوقت نفسه، تعدُّ صبرَها قد نَفد بعد شهور من عدم استجابة صدّام حسين لمطالبها!

هل تكرارُ القول "إن أمريكا في العراق لتحريره" في الصّحف والإذاعات ومحطّات التلفزيون بكلّ اللّغات – بما فيها العربيّة بالطّبع – كاف لإقناع الشّعب العراقيّ والأمّة العربيّة والإسلاميّة بأنّ الأمر كذلك؟! وهل يمكن أنْ يرحّبَ العراقيّون باحتلال وطنهم وتدمير إنجازاتهم المعاصرة وآثارهم الحضاريّة؟! هل نحن أمام تحرير العراق؟ أم أمام تحرير الشّعب العراقيّ من تراثه وثقافته وماضيه ومستقبله؟!

هل يُعقلُ أنْ يتمّ نشر الدّيمقراطيّة عبْرَ تجويع ملايين العراقيّين حتّى الموت؟ أقصد بمنع كلّ عراقيّ بعثيّ (سابقاً) من العمل؟

هاكم طائفة من الحقائق والأرقام المفزعة عن العراق:

-سقط من المدنيّين العراقيين نتيجة القصف زُهاء عشرة آلاف قتيل. أما بالنّسبة للقتلى العسكريّين فحدّثْ ولا حَرج!

-وَفْقاً لأقلّ المصادر رقماً، فإنّ أكثر من نصف مليون طفل عراقيّ ماتوا في اثني عشر عاماً من الحصار.

-إذا كانت كُلفة الحرب الأخيرة قد تراوحت بين ٥٠-٢٠٠ مليار دولار، فإنّ كُلفة الاحتلال حتّى الآن تراوحت بين ٥-٢٠ مليارَ دولار.

وإذا كانت الولايات المتّحدة تطلب من الدّول إرسال قوّاتها إلى العراق ليدفعوا هم ثمنَ احتلالها هي، فهل يَعني هذا كما قال أحد الأمريكيّين: أنّ الوضع في العراق خرج عن السّيطرة؟ يقول برادلي كيسلنغ، الدبلوماسيّ الأمريكيّ السّابق: "كلّما استعملنا قوّتنا العداونيّة على نحو أكبر لترويع أعدائنا، استحدثنا أعداءً أكثر، وسوّغنا استخدام الإرهاب سلاحاً فعّالاً أوحدَ للذين لا قوّةَ لهم ضدّ الأقوياء".

من ذا الذي ينكر أنّ هنالك توثُّباً في مختلف مدن العراق، وأنّ الصّبْرَ لن يدوم؟ حين تبدأ المقاومة - ولعلّها لم تبدأ بعد!

- سيُراق الكثيرُ من الدَّم العربيّ والأمريكيّ أيضاً، وستجتاح المنطقة العربيّة والإسلاميّة موْجات من الكراهيّة لأمريكا والغرب. وقد يدوم هذا سنينَ وسنين. إنّ الاستماعَ إلى الحقيقة أولى من الاستماع إلى أصحاب المصالح الصّغار. وكاتب هذه السّطور لا يحبّ ولو للحظة واحدة أنْ يُراقَ دم عراقيّ أو عربيّ أو مسلم؛ مثلما لا يحبّ ولو للحظة واحدة أن يُراق دم أمريكيّ أو سواه. لكن إذا أسفر الاحتلال عن استعمار، فسيُراق الدّم حتماً بغيْر حساب.

هل هنالك مِنَ المنتصرين حتّى الآن في العراق مَنْ يتذكّر أنه لمْ تنجحْ أيّ قوّة مادّيّة طيلة التّاريخ في تدمير فكرة اعتنقها شعب؟ لا يَهزِمُ الفكرةَ إلاّ فكرةٌ أفضلُ منها في نظر الشّعب. لهذا أتساءل: هل دول التّحالف على استعداد لوضع ثقتها المطلقة في الشّعب العراقيّ باعتباره الجهة الوحيدة الجديرة بالثّقة والقادرة على حماية الفكرة؟!

لنقلْ بصراحة: إنّه إذا عزمت الشّعوب على تحويل استيائها المعاصر من سياسة الولايات المتّحدة إزاءها إلى مقاومة مسلّحة، فسوف يشهد التّاريخ مستقبلاً مروّعاً للطّرفيْن. العراقيّون لن يتسرّعوا - فيما يبدو لي - في قَبول ما سيُعرض عليهم من مشروعات، وأصحاب المصالح الصّغار لنْ يمكثوا في الأرض.

إنّ الشّعوب العربيّة والمسلمة مدعوّة، عَبْرَ كلّ مؤسّساتها، إلى إنشاء صندوق لأموال الزّكاة والصّدقات والتّبرّعات لإنقاذ شعوبهم المذبوحة والمعذّبة، ولتمكينهم من البدء بعمليّة تنمية ذاتيّة صحّيّة تجسّد الأُخوّة في الله والوطن والإنسانيّة. والمؤسّسات العربيّة الجماهيريّة مدعوّة للاتّصال بالقوى العراقيّة في الدّاخل، ومساعدتها بالفعْل لا بالخُطَب والبيانات. فالجُرْح العراقيّ عربيّ أوّلاً.

المقالة الرّابعة

الدّين والدّيمقراطيّة ومستقبَل العراق

يعلم الجميع، بحكم العلم والخبرة معاً، أنّ الدّيمقراطيّة ليست شيئاً يصنعه الدّستور أو القانون؛ وإنّما إرادةُ الشّعب والممارسة ومؤسّسات المجتمع الأهليّ (المدنيّ). فإذا لم يكن للشّعب العراقيّ، بمختلف فئاته، دورٌ في صياغة هذا الدّستور، فلن يقبلَ به أحد. ومن غيْر الممكن أنْ يتمّ تفعيل دوْر الشّعب العراقيّ في المرحلة الرّاهنة باتّجاه بناء دولة ديمقراطيّة بغيْر إيمان أمريكيّ صادق؛ بمعنى أن لا تكون

الدّيمقراطيّـة الآتية على الطريق مجرّدَ صـورة ديمقراطيّة أو واجهة لنهب ثروات العراق وتدمير ثقافته وتزييف تاريخه وتدمير حاضره وتشويه مستقبله. لذلك فإنّ المطلوب أنْ تتمّ صـياغـة الدّسـتـور عـراقيّـاً، أو أنْ يشتـرك العـراقيّـون في صيـاغتـه على أقلّ تقـدير، لتكونَ له فرصـة الحصـول على موافـقة حـقيقـيّة من الشّـعب. ولا ننسى حجمَ الكـفاءات في العراق؛ فنـحن لسنا في القرن التّـاسعَ عشرَ أو مطـلع القرن العشرين.

إذا لم ينصّ الدّستور الموعـود على أنّ الشّعبَ العراقيّ هو المصدرُ الأوّل والوحيـدُ للسُّلطات، فلنْ يُجديَ بعد ذلك شيء. وإذا صحّ أنّ نوح فيلدمان، الذي نيطتْ به مهمّةُ ترؤس فريق صياغة الدّستور في العـراق، قد اقترح للعراق حكومةً يمكن وصـفُـها بأنّـها نظـام إسلاميّ لـلحكم من خـلال مشـاركـة ديمقـراطيّـة وانتـخـاب تمثـيليّ، فـإنّنا نكـون على الطّريق الصّحـيح حقّاً، المؤدّي إلى تقـرير المصير من خـلال اجراءات ذاتيّـة للحكم. وإذا صحّ أنّ هنالك من يدعم إعـادة بناء وزارةَ الأوقاف الإسـلاميّة على أسس حـديثة، وليس تدمـير الوَقْف الإسـلاميّ، فإنّ علينا أنْ نذكّر – مَعَ هذا – بأنّ خصـوصيّـةَ الموضوع لا تسمح بأنْ يتولاّه الغرباء عرْقاً وديناً وثقافة. إنّ آراء هؤلاء لنْ تكونَ موضع ترحيب أو قبول؛ لكنّ وجودَ هيئة عـربيّة إسـلاميّـة سيُـعطي لهـذا الجهْـد، إذا خلصت النّوايا وتطهّرت المقاصد، صدْقيّةً ذات قيمة عالية.

وما دام أنّ الأمرَ لَمْ يُحسمْ بعد، فَـإنّ ثمّة فائدةً مرجوّةً من التّـذكيـر بأنّ تشـويهَ الثّقـافـة الدّينيّـة لأيّ شعب أو إلغـاء الأوقاف الإسـلاميّـة سيكون مـقدّمـةً لإلغاء كلّ مـا هو دينيّ إسـلاميّ في العراق ولـسحق ثقـافـة شعب العـراق. وهذا لا يشكّل مـجـرّد انتهـاك لـحـقوق الإنسـان، بل تدخّـلاً في أدقّ خـصوصـيّات أيّ شـعب. وإنْ وقع، لا سمحَ الله، فسـيكون مقدّمةً تُخبر عما سيكون في بقيّة الدّول العربيّة والإسلاميّة. فليس من حقّ غـير المسلـم أنْ يقولَ للمـسلم ما هو الإسـلام، وكـيف يجب أنْ يُعبدَ الله، ولا كـيف يعـيش المسلم حيـاته الأسريّة أو العامّة!

وليس من الحكمـة أبداً أنْ يـتمّ تغـريبُ الشّـعب عن ذاته ودينه وثقـافـتـه، وإنْ كـان من المطلوب بالـطّبع أنْ ينفـتحَ الشّـعب على الخبـرات النّاجـحة لكلّ الدّول والمجتـمعـات والأديان. إنّ لدى المعتقَد الدّينيّ الكثيرَ ليقدّمه، وإنّ العمل من خلال الإيمان الدّينيّ يَعني الإيثار والتّعاطف الإنسانيّ. وهذا من أجـمل وأعظم مـا يمكن أنْ يُحـقّـقـه الإنسـان على سطح الأرض.

من الضّروريّ هنا أنْ نذكّـرَ بخصوصيّة الأمـاكن المقدّسة عـامّةً، وفي العـراق خاصّـة. إنّ هذا بالضّـبط هو ما يجـعل العراق مـختلفـاً كلّيّة عن أفـغانسـتان؛ فـضلاً عن اخـتلاف الوعي، والقُدُرات العلميّة والإداريّة وسواها. لذلك فإنّ العمل بتجاهل هذه الحقيقة، والتلكّؤ في وضع العراق بشكل سريع وإيجابـيّ على طريق مسـتقبـل حقيـقيّ، ستكون لـه عواقبُ وخيمة لنْ يطولَ انتظارها.

إنّ الطّريق إلى الدّيمقراطيّة والوحدة الوطنيّة في العراق لا تمرّ قطعاً بإقصاء الدّين عن حيـاة مجتمع هو من بيْن أكثر مـجتـمعـات الأرض التـصاقـاً بالدّين، وفيـه من مـقدّسـات المسلمين النّجف الأشـرف وكـربلاء وغـيْـرُهـمـا. مـثل هذا الإقـصـاء، بدعوة إقـامـة دولة عَلْمـانيّـة، يَعني دفع القـوى الدّينيّة والقيـادات الشّعبيّة إلى إشعال ثـورة لا عهْدَ لأمريكا بها. الطّريق الصّـحيح هو إقامة حوار دينيّ ومذهبيّ صحيّ وعلنيّ، يُساهم فـي بناء ديمقراطيّة أسـاسُها احـترام المذهب الآخـر والدّين الآخر، والإيمان المطـلق بأنّ الدّينَ لله والوطن للجميع. عندها سيكون الدّين أداة بناء وأداةَ نفي لأيّ تطرّف. إنّ أيّ شعب يحسّ بالخطر على دينه سـيستـميتُ في الدّفاع عنه. ولنْ يقتصرَ الشّعـور بالخطر حينئذ على العراقيّين، بل سيـشمل الأمّة العـربيّةَ والإسلامـيّة بأسرها؛ وسـيكون بيَدِ المتطرّفين والمعـتـدلين على حـدّ سـواء دليلٌ على أنّ الولايات المتّـحدة لا تسـعى إلى نهب ثروات العـرب والمسلمين فـقط، وإنّما أيضاً الى محاربة المسلمين والإسلام حتّى كسْرِ العظم.

إنّ أيّ إدارة أو حكومـــة أو دســـتـــور أو تنظيم لا يـكفل الاحـتـرامَ العـمـيق للأديان ولدوْرها في المجـتـمع العـربيّ العراقيّ سيكون مصيـره الاندثار؛ وسيقاتل الشّعب من أجل حرّيّته الدّينيّة وحقّه في تنظيم حياته وَفْقَ قِيَمه، لا وَفْقَ قِيمٍ غريبة.

لقد تمكّنَتْ مـؤخَراً [٢٧ – ٢٨/٥/٢٠٠٣] منظّمة المؤتمر العـالميّ لـلأديان من أجل السّلام، التي أتشـرّفُ بأنْ أكـونَ مقـرّرَها، وهي منظّمة معـترَف بها في الأمم المتّـحدة وتشكّل

أكبرُ تكتّل يمثّل الدّيانات الرّئيسيّة في العالم، من جَمْع ممثّلي الأديان والمذاهب والطّوائف الدّينيّة العراقيّة بكل أطيافها في عمّان، لأوّل مرّة منذ عام ١٩٧٩. وكان البحث يتركّز حول دوْر الأديان في الإعلاء من مكانة الكرامة الإنسانيّة وتعزيز الأمن الإنسانيّ؛ كما ركّز المجلس على القيم الإنسانيّة التي تجمع بين النّاس من كلّ دين ومذهب، وعلى "تعظيم الجوامع واحترام الفروق"، والعمل على توفير حقّ تقرير المصير الدّينيّ والثّقافيّ والاجتماعيّ للإنسان العراقيّ، وتوفير المساعدات الإنسانيّة للمواطنين في العراق وتكثيفها في ظل الأزمة الرّاهنة. فهل لنا أنْ نتعلّمَ من هذا الدّرس القيمةَ الإيجابيّة للدّين ودوْرَهُ في بناء مجتمع ديمقراطيّ؟

المقالة الخامسة

حول البناء الدّيمقراطيّ في العراق

نخدعُ أنفسنا إنْ لم نعترفْ بأنّ النّظامَ السّابق في العراق ترك جروحاً غائرة في نفسيّة المواطن العراقيّ، وشَرْخاً في النّسيج الاجتماعيّ، ودماراً مأساويًا في جوانبَ عدّة من حياة العراقيّين. ونجانبُ الحقيقة إنْ لمْ نعترفْ بأنّ الاحتلالَ الامريكيّ البريطانيّ للعراق ألحقَ هو الآخرَ دماراً هائلاً في هذا البلد المنكوب.

إنّ تحديدَ كيفيّة مواجهة الأزمة أمر حيويّ. ولا شك أنّ تنميةَ روح التّسامح، والاعتراف الصّادق والعميق بالآخَر العِرْقيّ والدّينيّ والمذهبيّ، شرط لإعادة العافية للنّسيج الاجتماعيّ. كما أنّ إعادة الإعمار المادّيّ لن يكونَ كافياً بغيْر اندمال جراحات القلوب والعقول.

إنّ إنشاء محكمة يُشارك فيها قضاة عرب متميِّزون بكفاءتهم ونزاهتهم [كما اقترح الدّكتور شريف بسيوني في مقالته العميقة، المنشورة في صحيفة شيكاغو تريبيون بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٣٠] هو وحْدَهُ الذي يمكن أنْ يُنهي حسابات الماضي في العراق. أمّا أنْ يُعَدَّ كلّ عضو سابق في حزب البعث مجرمَ حربٍ فليس من الحكمة أو الحصافة في شيء. ذلك أنّ أكثرَ من ثُلُثي الشّعب العراقيّ أعضاء (ولو صوريًا) في حزب البعث الحاكم (سابقاً)، لأنّ عدم عضويّة المواطن فيه كانت تهدّده في رزقه وترقّيه، بل حتّى في وجوده. وإنْ لمْ يكنْ ثُلُثا الشّعب أعضاء في الحزب، فإنّهم يعتمدون في إعالتهم على الأب أو الأمّ أو الأخ الذي كان "عضواً" في الحزب. ومحاكمة ثُلُثي الشّعب العراقيّ، كما أن حَلَّ أكبر الجيوش العربيّة وصرفها وتركها وأسرها تموت جوعاً، أمر لا معنى له بعيداً عن الرّغبة في إشباع روح الانتقام. وسيكون ردُّ هؤلاء: سنذهب إلى الموت وكلٌّ منّا يسحب معه أمريكيًا أو أكثر.

إنّ التّحلّي بروح التّسامح والواقعيّة أساسيّ لكسب تعاون العراقيّين وثقتهم. ولا أدري كيف يمكن أنْ يكون هنالك تمثيل شعبيّ حقيقيّ، سواء على مستوى المجالس البلديّة أو مجلس النّوّاب والأعيان، إذا استثنينا قرابة سبعة ملايين عراقيّ بسبب "بعثيّتهم" الصّوريّة على الأرجح، وبضعة ملايين أخرى لكونهم أفراداً في الجيش العراقيّ أو الأمن العام أو أجهزة المخابرات، وآلاف القيادات الدّينيّة لأنهم في نظر قوّات التّحالف إرهابيّون أو "مشروعات إرهاب"!!

إنّ بناء دولة ديمقراطيّة حديثة ومتقدّمة في العراق مكسب للولايات المتّحدة، قبل أنْ يكون مكسباً عراقيًا أو عربيًا أو حتى إسلاميًا. فهذا البناء هو ما يكفل عدم مجيء أيّ مقامر ليقفزَ إلى كرسيّ الحكم، ويُذيقَ الشّعب مرارةَ الاستبداد، ويُبدِّدَ ثروته أو ينهبَها مع أخوته أو أبنائه والعصابة

المتعاونة معه. والفسيفساء العراقية – عرقيًا ودينيًا ومذهبيًا – أقوى أساس وأفضل مسوِّغ لإقامة الدّيمقراطيّة. وبغير هذا ستكون هناك مقامرة ببلقنة المنطقة كلِّها، لا العراق وحده.

المطلوب ديمقراطيّة كاملة، وليس انتخابات فقط! (إذْ إنّ الانتخابات – أيّ انتخابات – قد لا تعني ديمقراطيّةً ودَمَقْرَطَةً بالضّرورة)! وكما قال عَديد وكارن دويشه في مقالتهما المهمّة "كيف نبني عراقاً ديمقراطيًا"، المنشورة في عدد أيّار (مايو) / حَزيران (يونيو) ٢٠٠٣ من مجلّة الشّؤون الخارجيّة *Foreign Affairs*، [ص ٣٦–٥٠]: "إنّ الحاجة ملحّة إلى بناء طبقة متوسّطة في العراق تدعم الممارسة الدّيمقراطيّة. ولنْ يتمّ هذا بغير عودة الكفاءات العراقيّة، المهاجرة منها والمهجّرة. وهنالك حاجة إلى كلّيات ومعاهد لتدريب الموظّفين على الممارسات الدّيمقراطيّة. وإذا لمْ يتمّ استيعاب الجالية العراقية المهجّرة والمهاجرة، التي تقدّر بأربعة ملايين مواطن تقريباً، فستكون هذه مصدر إنشاء وتمويل للحركات المتطرّفة المختلفة. وستظهر قوّة هذه الفئة إذا تمّ فرض دستور أو حكومة لا يوافق عليها الشّعب في العراق".

في وُسْع الجالية العراقيّة في الخارج لا أنْ تشارك في بناء العراق الجديد فقط، بحكم كفاءتها ورفضها للنّظام السّابق الذي هو السّبب في هجرتها، بل أنْ تكونَ أيضاً مموِّلاً للمشروعات البنّاءة التي يحتاج إليها العراق، وجسراً بين الاستثمار الأجنبيّ والوطن؛ خاصة إذا اقتنعت الولايات المتّحدة بحاجة العراق إلى "مشروع مارشال" جديد. إنّ الدّيمقراطيّة لا تزدهر مع الفقر والحرمان، ولا مع الإقصاء والتّمييز.

المقالة السادسة

على مفترق طُرُق

نحن الآن، عرباً وأمريكيّين، على مفترق طُرُق: فإمّا أنْ نبدأ بعدِّ القتلى وإحصاء الخسائر، أو نبدأ بالتّعاون الحقيقيّ والشّراكة الاستراتيجيّة. أنْ تكسبَ الولايات المتّحدة تعاونَ الشّعب العراقيّ والأمّة العربيّة خيْر لها – اقتصاديًا واستراتيجيًا على المدى البعيد – من أنْ تتعاملَ معهم في ضوْء مصالحها المادّيّة وحاجاتها، غيْرَ مكترثة بمصالحهم ولا بثقافتهم. والاتّكال على الواجهات الزّائفة لنْ يُجديَ شيئاً، بل قد يعجّل في لحظة الصّدام.

نحن على مفترق طرق لأنّ عشرات الآلاف من العراقيّين – مدنيّين وعسكريّين – قد قتلوا؛ وأكثر من نصف مليون طفل ماتوا أو قُتلوا نتيجة الحصار. كما أنّ مئات العراقيّين لاقوا حتفهم في المصادمات الأخيرة التي يُلاحظ المراقب أنّ حدَّتها في تصاعد مستمرّ. أمّا المنطقة المحيطة بالعراق فإنّها لم تبدأ بعد بالتّأثّر بالآثار الكارثيّة للحرب.

إنّ تصاعدَ المصادمات مرشّح – إذا استمرّ الحال على ما هو عليه – للتّنامي. فالالتزامات الدّوليّة التي لا بدّ للقوّات المحتلّة أنْ تؤدّيها ليست موضع مبالاة من أحد؛ إذ إنّ البنيةَ التّحتيّة العراقيّة المهدّمة لا تهُمّ أحداً إلّا بمقدار عقود إعادة الإعمار. والآثار النّفسيّة والاجتماعيّة للتّراجع الاقتصاديّ في العراق ليست موضع عناية.

نتحدّث عن الإرهاب بصفته عملاً سلبيًا فقط حين يمَسُّ مصالحنا، مشروعةً كانت أو غيْرَ ذلك. وكلّنا على يقين أنّ فشل الطّغاة في التّاريخ متولِّد – أساساً – من اعتمادهم على القوّة العنيفة وحْدَها حكماً نهائيًا في كلّ قضيّة. تُرى: إلى أيّ درجة ينطبق هذا الوصف على كثير ممّا يجري أمام أعيُننا؟ يقول كثير من الناس في الشّرق والغرب: إنّ الولايات المتّحدة واسرائيل تستعملان أعنف درجات القوّة ضدّ

المدنيّين لا ضدّ العسكريّين فقط. لكنّ الذي لا يستعمل غيْرَ العنف لا يمكن الرّدّ عليه إلا بعنف مماثل. فإلى أين ستنتهي بنا الطريق؟ ألم يحن الوقت كي يفكّرَ صانعو السّياسة بطريقٍ آخر؟!

نعم! إنّنا نفهم سعي الولايات المتّحدة إلى أنْ تكونَ القوّةَ الكْونيّةَ الوحيدة. لكنْ عليها أنْ تفكّرَ في الأخطار الحقيقيّة التي قد تنجم عن سلوكها وتلحق بالبشريّة كلّها. إنّ محاولة "تأمين الصّين" ببناء شبكات من القواعد العسكريّة عبر آسيا: أفغانستان والعراق... إلخ، ومحاولة السّيطرة المطلقة على النّفط – الأمر الذي يعطي مؤشّراً قويّا على أنّ الأهداف الجديدة ستكون: سورية ولبنان وإيران والصّومال والسّودان – كلّ هذا لنْ يُسهمَ في تحقيق الحُلم الأمريكيّ، وإنّما في تحوّله إلى كابوس. إنّ على الولايات المتّحدة أنْ تختارَ بكلّ رويّة بين أنْ تكونَ إسبارطة القرن الجديد أو أثينا؛ وما حصل لهاتيْن الصّيغتيْن معروف لنا جميعاً.

لنفكّرْ قليلاً في الصّورة الجديدة التي ستنشأ للعَلاقات العربيّة الأمريكيّة لو:

–انتهى الوجود العسكريّ الأمريكيّ في العراق، وأُقيمت حكومة وطنية، وقام برلمان من ممثّلين حقيقيّين للشّعب العراقيّ.

–قُدّمت مساعدات ماديّة وخبرات لبناء عراق ديمقراطيّ حديث، ودولة متقدّمة صناعيًا من خلال مشروع مماثل لمشروع مارشال في أوروبا بُعيْدَ الحرب العالميّة الثّانية.

–أُعيدت جميع القطع الأثريّة والفنّيّة إلى متاحف العراق، وتمّت محاكمة من قام بهذا العمل البربريّ، بصرف النّظر عن جنسيّاتهم ومن أيّ الدّول جاؤوا.

–استُوعبت الكفاءات العلميّة العراقيّة المهاجرة والمهجّرة، علميًا واقتصاديًا وسياسيًا.

–احتُرمت الخصوصيّة الثّقافيّة للإسلام، وقُدّمت المساعدة اللاّزمة لتحديث مؤسّسات الأوقاف وغيْرها.

–رُسّخ الشّعور بالعدل من خلال محاكمة نزيهة لأقطاب النّظام السّابق، لا بهدف التّشويه لكن لكشف الحقيقة في تاريخ العراق، من خلال مصالحة وطنيّة تُجهض كلّ احتمالات الشّقاق الاجتماعيّ وتمزّق النّسيج الشّعبيّ.

–وُضعت آليّة فعّالة ونظيفة لانتخاب ممثّلين حقيقيّين للشّعب لإقامة مجلس أُمّة.

–صار النّفط العراقيّ، كما وصفه كولن باول، "الكنز الرّائع" للعراقيّين، لا لغيْرهم.

–استُغلّت عائداتُ النّفط في بناء قطاعَي الزّراعة والصّناعة، فضلاً عن الصّحّة والتّعليم؛ وليس في شراء المستوْردات الاستهلاكيّة.

–جُعلَت إدارة النّفط تحت سيطرة حكوميّة وشعبيّة مركّبة؛ بحيث لا تستطيع الحكومة أنْ تسيطر على هذا القطاع وعائداته بعيداً عن رغبات الشّعب، واستفادته المباشَرة منه في الدّخل واستحداث الوظائف وترقّي التّعليم والصّحّة ومؤسّساتهما والبنية التّحتيّة للزّراعة والصّناعة.

من المؤسف، كما يقول *ستانلي وايس* [في مقالته المنشورة في *انترْنشنال هيرالد تريبيون IHT*، ١٣/٦/٢٠٠٣]، أنّ العالم العربيّ كلّه بسكّانه الثّلاثمئة مليون نسمة يصدّر من البضائع غيْر النّفطيّة أقلّ من فنلندا بملايينها الخمسة. إنّ بناء قطاع صناعيّ قويّ في العراق والأردنّ سيكون قاعدةً حقيقيّةً للسّلام الشّامل وللاستقرار. لذلك أقول دائماً: إنّ الاقليم كلّه بحاجة إلى "مشروع مارشال".

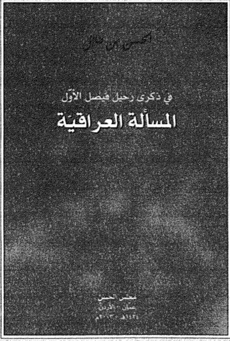
حين ينهمك الجميع في عمل يدرّ دخلاً عالياً ويسمح بالادّخار وتذوّق الفنون، يكون للحياة معنى. يوْمَها ستكون الحياة هانئة، وكلّ واحد يجب أنْ يعيشَها. ولن تجد فرداً عنده وقت للقتال أو رغبة في إنهاء حياة حلوة، لا حياة أسوأ من الموت. ■

إصدار جديد

لسموّ الأمير الحسن

في ذكرى رحيل فيصل الأوّل

المسألة العراقيّة



النّاشر/ مجلس الحسن :

[يحتوي هذا الكُتيّب على المقالات الستّ التي نشرَها سموّ الأمير الحسن بن طلال - حفظَهُ اللهُ ورعاه - في جريدة الحياة اللّندنيّة على مدى ستّة أيام متعاقبة (من ٢ - ٧ تمّوز/يوليو ٢٠٠٣). وهي تمثّل آخر أفكار سموّه حول المسألة العراقيّة حتّى عشيّة تشكيل «مجلس الحكُم الانتقاليّ العراقيّ».

وقد نالتْ هذه المقالاتُ من اهتمام القرّاء في كلّ مكان ما شجّعَنا على تجميعها معاً بين دفّتيْ هذا الكُتيّب. ولعلّ ذلك يُبرز وحدتها العضويّة والتّكامُلَ بينها؛ فهي - أصلاً - مقالة واحدة في ستّة أجزاء يُكملُ الواحدُ الآخر.]

تعليقات (زاوية جديدة)

الأمير الحسن ورؤيته للمشهد العراقيّ *

أ.ممدوح أبو دلهوم **

لعلّه جدير بالتنويه ها هنا ابتداءً أنّ هذا المقال معطوف، بشكل مباشر وحيثما اقتضت الشفافيّة بالضرورة، على ما خرج به ممثلو الطوائف الدّينيّة في العراق الشقيق من توصيات ومقررات وإحالات في مؤتمرهم الذي عُقد في العاصمة عمّان على مدى يومَيْن (الثلاثاء ٢٧ / ٥ والأربعاء ٢٨ / ٥) على التوالي. وكان تحت عنوان مُوْحٍ عميق الدلالة هو (رفض العنف والعمل من أجل السلام والعدل). وقد نادى له وترأس جلساته صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال حفظه الله، بصفته العالمية / الإنسانية مقرراً لمنظّمة (المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام)، وهي حلقة مضيئة في سلسلة أدواره التنويرية التي يمكن وصفها بالمحورية، وناشطاً في حقلي العَلاقات الدولية وحقوق الإنسان، عبر غير أُقنوم رسميّ دوليّ وإنسانيّ بكونه رئيساً لنادي روما ومبعوثاً شخصياً للسكرتير العام للأمم المتحدة، على سبيل المثال لا الحصر. وقد أفادت هذه المنظمة الدولية الرسمية والخاصة من خبرات سموّه في غير ميدان، إضافة إلى تسلمه غير منصب فخري، فضلاً عن مكانته العلمية، وقامته الفكرية، وشخصيته الاعتبارية المعروفة لدى الأوساط الدولية عموماً. بمعنى أن رعاية سموه للمؤتمر المذكور أعلاه كانت بصفته العالمية لا بصفته الشخصية، مع أنّ بعض المتعطشين للإشاعات حاولوا الغمز بدور مستقبلي لسموه في حكم ملكي للعراق الشقيق.

أما مردّ التنويه في بداية هذه المقالة فيتبلور ساطعاً في غير إشارة وفي أكثر من تخريجة بين سلب وإيجاب على هامش لقاءات خمسة كانت قد أجرتها مع سموّه بعض الفضائيات العربية عشية اندلاع الحرب في العراق، ثم بعد سقوط بغداد في أيدي قوات التحالف الأمريكية البريطانية.... مع أن سموّه أجاب بلسان عربيّ أردنيّ هاشميّ مُبين على كل هاتيك الأسئلة، أو بمعنى أدق الإشارات والتخريجات الملغزة حينا والمباشرة حينا آخر، منذ مؤتمر المعارضة العراقية الأول في العاصمة البريطانية الذي قالت القنوات الإعلاميّة العربية في حضور سموّه له ما لم يقله مالك في الخمر،فإن الشاشات الفضائية لتتوالى بعد ذلك في ملاحقة سموه بسيل عرم من الأسئلة، وأكاد أقول الاستفزازات أيضاً. وذاتُ الشفافية في الطرح تقتضي أن نستثني هنا بعض القنوات والفضائيات العربية كاللبنانية (الحياة LBC) وقناة (أبو ظبي) وقناة (العربية)، والأخيرة قد جاء باكورة انتاجها التلفزيوني في إهاب الحلقة الأولى من برنامج (بالعربي: فاعل تحت الضوء) التي قال فيها سموّه قولته المشهورة حول زهده في المناصب: (أنا لست مغرماً بالسجاد الأحمر... إلخ). ومَعَ أنّ إجابات الأمير الحسن على كل ما جاء من أسئلة في اللقاءات المذكورة - ومنها على سبيل المثال إجاباته على أسئلة (سعد السيلاوي وجيزيل خوري) - كانت حاسمة مانعة يصح وصفها بالإجابات (الجُهَيْزِيّة) نسبة إلى قول العرب (قطعت جهيزة قول كل خطيب)، أو بالرد (الحذاميّ) تناغماً مع قولهم (القول ما قالت حذام)، إلا أنّ الباحثين عن صيد صحفي ثمين ما زالت تتقاطر إشاعاتهم حتى الأمس القريب. وقد حدا ذلك بسموّه إلى التنادي لهذا المؤتمر الجدلي والضروري، في الوقت نفسه، من منطلقات قومية وعقائدّية وإنسانيّة يفصح عنها العنوان الذي انضوى تحت لوائه المؤتمرون من جميع تلاوين الطيف الديني في العراق بغرض تعظيم الجوامع وتهميش الفروق، ومناقشة السيناريوهات المحتملة لمستقبل العراق. ■

* أنظر " تقرير خاصّ (٢) "؛ المنتدى ، العدد (٢١٠)، ص ٤٤ - ٤٥.

** كاتب صحافي / جريدة الرأي .

الفكر العربيّ المعاصر وإمكانات الاستيعاب الجديدة

د. رياض الأسدي *

توطئة

ما مدى استيعاب الفكر العربي الحديث للتحديات الفكرية الخارجية التي يمثلها الفكر الغربي، وبخاصة في هذه الحقبة التي يزمع الفكر العالمي الانتقال نحو أطر مغايرة؟ وما القوى المتوافرة، أو التي ينبغي توافرها، لكي يمكن مواجهة الصدمة الفكرية والحضارية في آن واحد؟ إن قوى الاستيعاب للفكر العربي تتمظهر على نحو خاص في حفاظه على هويته، كما إنها، في الوقت نفسه، ترسم قاعدة أساسية في المعرفة العلمية تعد منطلقاً «لإقامة بنى» جديدة، ونظم معرفية تتناسب وقرن قادم.

منحتنا تجربة الفكر العربي الاسلامي بعد عصر التدوين إمكانات واسعة في استيعاب الأفكار والنظم المعرفية المحيطة به آنذاك، واستطاع في زمن قياسي أن يقدم لنا نتائج فكرية خلاقة لما تزل فاعلة في الفكر العربي المعاصر حتى الوقت الحاضر، فهل يمكن للفكر العربي أن يعمل في بدايات القرن الحادي والعشرين على أن يستوعب مكونات الفكر الغربي، وأن يدرس نظمها المعرفية على نحو لا يفقده أصالته وهويته الثقافية؟ وهل بالأمكان المحافظة على تلك الهوية في عصر الاتصالات الهائلة؟

الفكر العربي المعاصر بعد قرن ونيف من يقظته الحديثة يجد نفسه من جديد على أعتاب تطورات فكرية كبيرة ومختلفة تكتسي طابعاً «خاصاً»، وهي تتسارع على نحو واسع ومكثف في إطار من عصر الاتصالات المتنوعة. وهذا البحث محاولة متواضعة للتعرف على إمكانية استيعاب الفكر العربي المعاصر في عصر تظهر فيه محاولات تغييب الدور الذي يمكن أن يكون عليه ذلك الفكر في ظل منظومات جديدة تستخدم العلم والتقانة بخاصة، وفي الوقت نفسه يحاول تسليط الضوء على أهم المعوقات التي تحول دون الاستيعاب الكامل للتحديات الفكرية المحيطة لكي نتمكن من رسم صورة واضحة لآليات الاستيعاب داخل/خارج الفكر العربي على نحو متواصل.

إطار نظري

واجه الفكر العربي الحديث منذ عصر النهضة التي بدأت في أواسط

* أستاذ في جامعة البصرة؛ مركز دراسات الخليج العربي.

القرن التاسع عشر في أقل تقدير تحديات على مستويين أساسيين: خارجية تمثلت في طروحات الفكر الغربي عموماً، وحلوله المختلفة لمجمل جوانب الحياة، وما نتج عن ذلك من بنى عدت نفسها نهائية، فضلاً عن خروجها من مساحتها الجغرافية – الاوربة – وبالتالي تفاعلها مع الفكر العربي آنذاك؛ وهكذا ظهر لدينا تيار (متغرب Westernization) له مفكروه ودعاته ومروجوه، فضلاً عن مكونات داخلية تمثلت على نحو واضح في بنى الفكر العربي الذاتية وهويته الثقافية، وعلاقاته بالموروث، وبخاصة الموروث الاسلامي. وإذا كان من الصعب أن نتصور – على أية حال – أن ثمة خطوات أساسية ومهمة قد تحققت طوال ال (١٥٠) عاماً الماضية، فإن من الشطط أن (نحكم بالفشل في تحقيق نهضتنا بعد أكثر من قرن من وعينا بضرورتها وعملنا من أجلها)[1]. لكن التساؤلات حول دور الفكر العربي في حياتنا المعاصرة ما تزال قائمة، وكذلك العمل على معرفة ما يمكن تحقيقه بمنظور علمي يتناسب وتسارعات العصر.

تتركز الموضوعة الاولى في هذا المجال في صعوبة الانجاز العربي المعرفي الموزع والمختلف بين الأقطار العربية، وكذلك التخطيط لقيام منهجية علمية لتدقيق مستوى الانجاز وترابطاته؛ في وقت أصبح العلم نفسه قوة إنتاجية خلاقة تعمل على نهوض الأمم في عالم ما بعد الصناعة [2]. وأصبحت تلك الإنجازات وسيلة مهمة في إعادة النظر بطريقة حل المشكلات التي تواجهها الجماعات والأفراد على حد سواء، وبالتالي فالتحول نحو التفكير العلمي يعد ضرورة قصوى لتاسيس رؤية ثقافية قائمة على المعرفة الدقيقة والطاقة الخلاقة للكشف عن مختلف ميادين الحياة [3]. فالغرب أنشأ، ومنذ عدة قرون، طريقة في التفكير العلمي لحل غوامض حركة الطبيعة، وجاز ذلك الى ميادين الحياة الانسانية الأخرى، فظهرت في حقبة زمنية واحدة أعمال عملاقة في التاريخ والاقتصاد وأصل النوع الإنساني، ونظريات تفسيرية للحياة الاجتماعية والقانون والدولة [4]. وكون التقدم الفكري الغربي فجوة واسعة أمام الفكر العربي، إلى جانب فجوة الثقافة، حيث رافق تطور الفكر الغربي تطور هائل في الاكتشافات الكبرى لقوانين الطبيعة والمجتمع الإنساني، وبخاصة بعد ظهور انقلابي الميكانيك والكهرباء. لقد كان لتلك الإنجازات أثرها في إعادة النظر في طريقة التفكير الإنسانية وتحولها من التامل الذاتي إلى إيلاء التامل الموضوعي حقه من مساحة التكوين، مما سمح في أن يكون الإنسان مركزاً لمعرفة كونية. وهكذا فقد خضع العالم العربي منذ عام ١٤٩٨م لتقدم التقانة التي انجزت في أوروبا، كما خضع بهذا القدر أوذاك إلى طريقة التفكير الأوروبية[5]. وأحدثت رؤية الشمول في الفكر العربي إمكانية على التفاعل مع مختلف أشكال الفكر الإنساني دون أن ينتابه الخشية من الضياع او مسخ الهوية الخاصة به. وقد تنبه بعض المستشرقين – وبخاصة الألمان – منذ وقت مبكر الى تلك النزعة، فكتب الفيلسوف هردر Herder ١٧٤٤ – ١٨٠٣م في أهمية الفكر العربي إنسانياً، وتناول شخصية الرسول محمد (ﷺ) باعتباره من أهم أعلام الفكر، كما نظم الشاعر الألماني غيته Goethe قصيدة عام ١٧٤٤م مجد فيها شخص الرسول العربي (ﷺ) [6]، الذي هو بلا شك ثناء على الفكر العربي برمته. وكذلك نجد أن الجدل الإنساني في تفاعلات الفكر من أهم مميزات الفكر العربي على الرغم من الحملات التي تشن ضد العرب والإسلام من وقت لآخر، وما رافق تلك اللقاءات الفكرية مع الفكر الأوروبي من نتائج سلبية تمثلت في نقل بنى أفكار بعينها دون إجراء عملية نقد موضوعية لها أو الوقوف منها موقفاً انعزالياً. وقد تركت تلك الحالة آثارها على ضعف إمكانية استيعاب الفكر العربي للفكر الغربي عموماً، وانعكس هذا الوضع على طبيعة النظام المعرفي له، كما نتج في الوقت نفسه – بفعل ضعف آليات الاستيعاب عامة – تراجع آخر في فهم الموروث الماضوي العربي نفسه، وما تطلبه من القيام بعملية نقد شاملة لمختلف الوحدات المكونة له من خلال الرجوع إلى الأصول العربية الإسلامية ومحاولة إعادة ترتيبها بفكر متفتح [7]. فالسؤال المهم في هذا المجال هو: كيف نتعامل مع التراث؟ وهل يحتوينا حتى يصبح مركزاً لبنى تفكيرنا المعاصر؟ أم نحن الذين نحتويه ونجعل منه قوة دافعة لكشف تناقضات الحاضر الممتد عبر الماضي؟

لا شك بأن وضع مناهج محددة لتقييم موروثنا الحضاري هو حالة تسبق أي جهد نظري آخر. فعملية

التدوين التي أنجزت في العصر العباسي الأول لم تكن في مخرجاتها الأساسية توثيقاً للفكر العربي الإسلامي وحسب، بل كانت عملية توليد وإعادة إنتاج في الوقت نفسه. ولزوم التدقيق في الاخبار – وما أظهره العرب من براعة فائقة فيه – يجعلنا نعكف من جديد على قراءة نصوص الموروث وإعادة تدقيقها[٨] لأن تنظيم النتاج الفكري الماضوي لا يقل أهمية عن تنظيم النتاج الفكري المعاصر، والتخطيط لأي جهد ثقافي مستقبلي يوجب التخطيط لثقافة الماضي [٩]. وتعود فكرة تخطيط الثقافة إلى اكتشاف المنظومات الفكرية المحركة والفاعلة فيها، وتظهر في عملية الكشف عن المنظومات المعرفية للماضي ومنظومة معرفة الحاضر علامات التوفيق الموازنة بين نظامين معرفيين. ولذلك فإن قيام نظام جديد من المعرفة لكشف العلاقات المترابطة بينهما وتفاعلاتهما وتفعيل دور معارف الماضي هو ضرورة موازية.

وللبدء باستيعاب الماضي والحاضر وخلق روح فكرية عالية ينبغي إلغاء الحواجز ورفع الأغطية ونشر الحوار العلمي للبدء بحقبة من العقلنة العربية المرتبطة بالعلم. ويقترح علينا (الجابري) رؤية من المزاوجة بين مناهج مختلقة من التفكير للخروج من المأزق الفكري [١٠]. لكن لا يمكننا – من وجهة نظرنا – أن نقترح مناهج مسبقة، أو أن نعمل على بنائها من نسيج حضارات أخرى. فمن الطبيعي أن تكون ثمة جدلية بين محتوى الفكر والحضارة لتطمين القدرة على الاستيعاب. فالفكر – مهما حاول أن يعلن – هو نتاج حضارة معينة، وحقبة تاريخية، وهو مؤشر حسّاس على رقي تلك الحضارة أو انحطاطها. ومن هنا فإن مناهج التفكير الإنسانية تمتد رؤيتها ونسيجها من المناخ الحضاري الذي ولدت فيه، ولا يمكن لأية إمكانات استيعاب القفز فوق ذلك.

وبناء على ما تقدم، يعود التفتح الشامل للفكر العربي القديم إلى الطابع الحضاري بالدرجة الأساس، وهو الوضع ذاته الذي ما يزال يطبع الحضارة والفكر حتى الوقت الحاضر بطابعه [١١]. إن نظرة فاحصة لطبيعة المناهج المستخدمة في تنظيم معارف الموروث وتحليل أوضاع الفكر العربي المعاصر تقترح علينا قبل كل شيء إقامة مناهجنا المعرفية (الإبستمولوجيا العربية) [١٢]، وتحديد مرجعية مختلفة للبنى الفكرية المعاصرة والموروثة. ولا شك أن ثلة من المفكرين، أو مدرسة من المدارس الفكرية، أو وجهة ما، أو دولة بعينها غير قادرة على القيام بهذا الجهد متفردة، فلا مناص من أن تتضافر مختلف القوى والطاقات لتنظيم المعرفة العربية المعاصرة على أسس علمية ومنطقية، وهذا يعني قيام عقلانية عربية جديدة.

مكان منظومات الفكر العربي المعاصر على الاستيعاب

تعتمد حدود الاستيعاب على إمكانية التكيف مع الصدمة، ومن ثم توليد مفاهيم عنها؛ لكنها لم تكن على العموم استجابة بدأت منذ ظهور المشروع النهضوي العربي في القرن التاسع عشر، بل هي حالة بقيت مستمرة عقوداً عديدة، وما تزال آثارها فاعلة وقائمة. أما الفكر العربي فقد بقي متحصناً في الموروث، ولا يزال يتخذ موقف المتلقي غالباً دون أن يحضّر للتوليد والإنتاج. ويكمن الوضع الأساس في ضعف الإمكان على الاستيعاب في استمرار سلطة اللفظ وإشاعتها على نحو يقوض المعاني، ويوسع من دائرة التأويل إلى أقصى حد. فاشاعت سلطة اللفظ وتنوعها طرائق مختلفة للوصول إلى المعنى وتأويله بصورة تنوع الألفاظ [١٣]. وقد رافقت تلك الظاهرة الفكر المسيحي الغربي بدايات تأسيس (محاكم التفتيش) على نحو خاص أيضاً. إن ذلك الوضع الذي ورثناه هو جانب مبسط لضعف القدرة، رغم أنه يعد مسؤولاً إلى حد كبير على شيوع لامعرفات Indefensible ترافق عملية الاستيعاب، ومن ثم تسهم تلك اللامعرفات في تشييد بنى رياضية معينة [١٤]. فهي أيضاً تعني محتوى الفكر في حالة تحولها إلى نظام معرفي فاعل.

واستطاع الفكر العربي الإسلامي – وفي مدة زمنية قياسية – أن ينشئ نظاماً معرفياً للامعرفات القادمة من الفكر اليوناني بخاصة، فعكف العلماء المسلمون على اختلاف مدارسهم على تقديم شروحات وتحقيقات لعموم الفلسفة اليونانية. ومن الملاحظ أن تلك العملية كانت تحظى بدعم من الدولة آنذاك. ثم تجلى ذلك في أفضل صورة

زمن الخليفة العباسي المأمون. وهكذا استطاع الفكر العربي الإسلامي أن يحتوي الصدمة في وضع جديد. أما الفكر العربي المعاصر فما يزال أمامه الطريق صعباً وطويلاً ونحن ندخل القرن الحادى والعشرين. ففي وقت تستخدم فيه ثقافتنا مفاهيم، كالحداثة والعلمانية والعولمة والظاهراتية والبنيوية... الخ، على أنها معرفات منتهية، تبقى من وجهة نظرنا لامعرفات ما لم يكشف عن أنظمتها المعرفية ومرجعياتها. ولذلك فإن وضع قواميس – مرجعية – معاصرة يعد ضرورة قائمة.

وتتمظهر المشكلة على نحو أعقد في التخطيط لثقافة الماضي، فرغم الجهود الكبرى التي بذلها العلماء العرب المسلمين في ميادين الشروح وكتب الفرق وأبواب العلوم؛ إلا أن جهداً إضافياً ما يزال يترتب على الثقافة والفكر العربيين المعاصرين، ولا يتعلق الأمر بتنظيم المرجعيات ووضع البنى الفكرية والكشف عن أنظمة المعرفة فحسب، بل يوجب أيضا التدقيق في مناهج الاستشراق وأحكامه المتعلقة بالفعل العربي ودوره في الحضارة الإنسانية[١٥]. لقد كان المنهج التشككي الغربي الذي اضطلع به الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت وما تبعه من امتدادات في الفكر الغربي إبان القرن العشرين قد ترك أثراً كبيراً أسهم في هز (اليقين الغربي) بما يتعلق برؤية الإنسان لذاته وللعالم. وقد تركت المنهجية الديكارتية ظلالها على المعرفة الإنسانية عموما، ولم يكن الفكر العربي الحديث بمعزل عن تلك التوجهات التي طالت العلوم الإنسانية إلى علوم الرياضيات التي شككت هي الأخرى باليقين الرياضي أيضاً وما سحبه كورت جودل Kurt Godel العالم الرياضي من تشكيك، حتى على مستوى بنى الدقة أيضا [١٦]. وإذا ما طال الشك هذا الميدان، فإن مشكلة إضافية سوف تحول دون الإمكان على الاستيعاب ، إن لم تعمل على تعطيله مدة من الزمن غير قصيرة، مما يعرض الفكر العربي على العموم إلى معوقات جديدة. إن تداعي الاستيعاب لا يتأتى من اهتزاز اليقين وحده، إذ إن شيوع الفوضى المعرفية في الفكر العربي المعاصر حتى أواخر القرن العشرين، ونكوصه عن تحقيق مشروعه الحضاري، وضعف آلياته عموماً لا تتعلق بمدى معرفته بأنظمة البنى التي تواجهه في الحاضر وكذلك البنى الموروثة؛ لكنها تتعلق على نحو أكثر خطورة بالتخطيط لثقافة المستقبل التي تعد واحداً من أهم المقترحات المتعلقة بنجاح الاستيعاب. فيلاحظ أن هناك علاقة جدلية صحيحة بين محتوى الفكر العربي، وقدرته على الاستيعاب، وقابليته لإنتاج نماذج للنهوض الفكري والحضاري في المستقبل. فضلاً عن ذلك فإن جدلية الاستيعاب تفترض إنشاء قاعدة واسعة من (المبرهنات) التي تترشح في الأساس عن عملية تنظيم الفكر، فتكون منطلقاً يقينياً يوسع من الاستيعاب وحدوده. ولعل بحوث اللغة وعلم التاريخ من أكثر العلوم استشعاراً لتلك العملية ، وذلك لمرونتها في تاطير الفكر فضلاً عن منحها هويته الذاتية. وتتمظهر المبرهنات الأولية في خصوصية التاريخ القومي أثناء البحث في أسس تاريخ العالم العام [١٧]. ولذلك فإن الدراسات التاريخية لموروثنا الثقافي تعد ضرورة لفهم الأطر العامة للاستيعاب، فضلاً عن كشفها لمختلف العلاقات المعرفية الماضوية، ناهيك عن قدرتها في تشخيص وسائل التعامل مع البنى المختلفة في الموروث، وفي تزويدنا، في الوقت نفسه، بقدرة معلوماتية يمكن من خلالها البدء بعملية إعادة التدوين لمختلف البنى الفكرية في الموروث، وهي تقرب لنا منطق حلول مشكلات الحاضر. وعلى هذا الأساس فإن إعادة كتابة التاريخ تعمل على توسيع دائرة المبرهنات على نحو فعال، مما يؤدي إلى ترصيف اليقين العربي المعاصر وصولاً إلى الخروج من المرحلة الشكيّة.

أثر الفجوة العلمية والتقانية على الاستيعاب

بدأ الإنتاج الحرفي في منطقة الشرق الأوسط. لكن من يرى بدايته في الوطن العربي المنطلق الأول لاختراع الكتابة والعجلة والشراع؟ ومن هنا فإن العمق التاريخي الحضاري يلعب دوراً أساسياً في استمرارية قوة الدفع باتجاه التطلع إلى محاولة تضييق الفجوة العلمية والتقانية التي خلقت عالمين: يعيش في العالم الأول إنسان ينتمي إلى العالم الصناعي، وآخر يعيش على فتات الصناعة، مما أوجد نوعاً من

العنصرية المضافة إلى سجل الإنسانية [١٨]. وقد عملت تلك الظاهرة على جعل البلدان غير الصناعية مركزاً للاستلاب الحديث من خلال (ادلجة) كل ما هو اقتصادي، واحتكار الاكتشافات العلمية المتخصصة جداً، ثم وضع إنسان المجتمعات غير الصناعية في حالة تدن علمية وتقانية تعمل لصالح العالم الصناعي بخاصة [١٩]. ويرى بعض الباحثين أن العقود الثلاثة المقبلة سوف تحدد طبيعة الآفاق العلمية والتقنية التي تعتمد على التقدم الخلاّق في العلوم الأساسية، فإن جيلنا سيشهد حصاد حوالي نصف ما أنتجته البشرية طوال تاريخها من تقدم علمي وتحديث تكنولوجي [٢٠]. ولهذا فإن الفجوة العلمية والتقانية تضع الفكر العربي المعاصر أمام تحد دائم. فاستيعاب التمويلات الهائلة علمياً وتقانياً في الغرب يعد مهمة أساسية للنهوض بالواقع العلمي العربي.

إن الغرب يحاول وبشكل متعمّد أن يضع الإنسان العربي على هامش عملية الإنتاج الكبرى، وبالتالي يجعل منه مستهلكاً للسلع الغربية، ليس على مستوى الاقتصاد، بل على مستوى الفكر أيضاً. ويسهم اتساع الفجوة العلمية والتقانية بدور بارز في تبعية هذا الاستهلاك، ولذلك فإن الخروج من حالة (التواكل التقاني) سيجد طريقاً له من خلال العمل العلمي المتصل، والخوض العميق لمعرفة أسرار التقانة الحديثة، والتواني - بعد هذه المدة - سوف يضع العرب وفكرهم أمام تحديات مصيرية لأن الوقت المتاح لنا في إقامة البنى المادية والمعنوية المتعلقة بنا سوف يتناقص على نحو متسارع وواسع أكثر من أي وقت مضى [٢١]. إن سلسلة من العوامل الخارجية تعمل على (قولبة) الفكر العربي للحيلولة دون اكتسابه لهويته الذاتية، وللحيلولة دون تلمّس آلياته في استيعاب مختلف التطورات في مجال العلم والتقانة. ويبدو أن معركة الاستقلال التي خاضتها وتخوضها الشعوب المستعمرة هي معركة استقلال للفكر بالدرجة الأساس، كما أن المعركة الأساسية التي يخوضها الفكر العربي في استيعاب تحديات الغرب هي معركة علمية وتقانية، وهذه الجولة لن تكسب بدون أطر فكرية مستقلة؛ فما السبيل إلى ذلك؟

تعمل أنظمة المعرفة على تحليل نتائج العلوم الطبيعية والإنسانية ونقدها، كما إنها في الوقت نفسه تكشف لنا طريقة عمل أنظمة المعرفة لمختلف العلوم. ويرى لالاند Lalande في معجمه الفلسفي أن الابستمولوجيا هي (فلسفة للعلوم)[٢٢]. ولذلك لا يمكننا وضع أطر نظرية لمجمل معارفنا المعاصرة والماضويّة ما لم نعمل على وضع منظومات معرفية محددة لها. الصراعات الفكرية المعاصرة هي خلافات حول أنظمة المعارف في جوانب كثيرة منها، كما إن وضع أطر فكرية معاصرة على أسس علمية، ومحاكمة الموروث وإعادة تكوينه وفق مبرهنات محايدة وموضوعية ستفضي إلى الخروج بيقين معين في رسم خطة شاملة لاستيعاب تطورات الفكر العلمي والإنساني وفق أصول معرفية ثابتة لموروثنا الكبير، وتعمل على ترسيخ يقين عربي علمي واضح الهوية.

إن قيام إبستمولوجيا عربية تعني:

الكشف عن النظم المعرفية التي تتمكن في الفكر العربي المعاصر، على أسس علمية، وهي تسهم في هذا المجال في تصعيد وتائر الاستيعاب وفق مبرهنات عقلية وعلمية واضحة، كما إنها في الوقت نفسه تعمل على إنشاء مؤسسات متخصصة تعمل فيها عقول متخصصة للخروج من المأزق العلمي - الحضاري. وتتمظهر معرقلات الاستيعاب في تباطؤ القوى المحركة للحاق بركب العلم الذي تتمثل فيه الكفاءات العالمية ورؤوس الأموال المساندة والمؤسسات المستقلّة. فالأقطار العربية الذي نالت حظاً متواضعاً من النمو العلمي والتقاني بعد الاستقلال شهدت هجرة مستمرة للكفاءات العربية إلى خارج العالم العربي، ناهيك عن هجرة سكانية قدّرت خلال الثلاثين عاماً الماضية بما يتراوح بين ٥ - ١٠٪ من السكان العرب إلى أوروبا والأمريكتين وغيرها من بلدان العالم [٢٣]. وهي قوى بشرية فاعلة ومفكرة كان بالإمكان أن تتحول إلى طاقة خلاّقة. وبالطبع إن تلك الهجرة شملت العقول العربية التي يمكن أن تسهم بقدر واسع في استيعاب التحولات العلمية والتقانية، كما وظفت رؤوس أموال عربية (نفطيّة) خارج العالم العربي بلغت في بعض التقديرات أكثر من ٥٠٠ مليار دولار، إذ يتوقع الباحثون زيادة

في ترتيب رؤوس الأموال العربية، واستمراراً مضطرداً لهجرة الكفاءات العلمية العربية خارج العالم العربي. إنها عملية هدر متواصل للإمكانات العربية على المستوى العلمي والاقتصادي في خلال النصف الثاني من القرن العشرين أظهرت أن الإنجاز الممكن لا يتعدى الحد الأدنى المقبول في تحقيق الأهداف(٢٤). ومن هنا فإن تحديات جديدة تواجه العقل العربي في المحافظة على طاقاته النامية، وبالتالي فإن القدرات البشرية والمادية التي تسهم في العمل على إقامة مؤسسات علمية ومنشآت تقانية ستجد نفسها تتضاءل أمام التطورات العلمية والتقانية للغرب، مما يبقي على الفجوة التقانية حقيقة نهائية قائمة، وبخاصة حينما ترد إحصاءات تؤكد زيادة نسبة البحث والتطوير في عموم العالم المتقدم. فقد أعلن الرئيس كلنتون عن زيادة في هذا المجال بلغت ٦ بالمائة في عام ١٩٩٩، وهي أكثر بخمس عشرة مرة عمّا أنفقه الوطن العربي بأسره على البحث والتطوير (٢٥). ومن ذلك نكتشف أن القوى الاجتماعية التي تضطلع بالعمل على استيعاب تحديات الغرب العلمية والتقانية تقع على عاتقها مهام جسام على عتبة القرن الحادي والعشرين.

القوى المحركة للاستيعاب

إن تفحصاً سريعاً لمختلف الجماعات الفكرية (حركات وأحزاب وشخصيات) منذ بداية عصر النهضة إلى نهاية القرن العشرين يضعنا أمام خريطة واسعة وكبيرة لا تحتمل بؤراً فكرية مركزة على نحو خاص. ومن الغريب أن العديد من تلك الحركات التي عدت الفكر منطلقاً أساسياً لها انغمست بعد برهة من الزمن في تقديم برامج عملية لتحقيق أهداف سياسية بعينها. إن حركات – كالناصرية مثلاً – بدأ الفكر معها لاحقاً بعد تسلم السلطة مباشرة. وهكذا وجدت ثمة هوة كبيرة بين المنطلقات والأهداف. كما بقي مشروع (إنقاذ الأمة إنما يكون بالثورة الفكرية)(٢٦) طرحاً أولياً دون أن تسعى تلك القوى على اختلافها إلى وضع برنامج فكري يحدد عمل الثورة الفكرية وماهيتها. ولعل ذلك من أهم معرقلات الاستيعاب.

إن حرية الفكر والتعبير عنه هي قيمة كبرى بمنزلة العقل والعلم، وتمتد جذور تلك المسألة في الموروث، ويمكن اكتشاف ذلك على نحو خاص في أهمية الحريات المدنية في الإسلام(٢٧). لكن القوى المناط بها تنظيم عملية الاستيعاب وجدت في خيمة الحرية خطراً مضاعفاً عليها، مما جعلها تقتصر على الدور السياسي، وأحدث جفوة بين الجماعات الفاعلة والمهيأة للاستيعاب والقوى السياسية التي تحاول (أدلجة) الفكر العربي على وفق منظوماتها السياسية، حيث أوقع هذا الوضع الفكر في حالة من التعارض مع السلطة في أغلب الأحيان؛ كما منعت الحواجز المفتعلة والمعارك السياسية الجانبية قيام حوار جاد بين مختلف الأطراف الفكرية (٢٨). وتجد القوى المحركة للاستيعاب نفسها أمام مأزق جديد، وبخاصة بعد انهيار النموذج السوفيتي في حقبة التسعينات رسمياً، حيث تسهم كل من الولايات المتحدة وإسرائيل في (خلق) هيكل إقليمي للثقافة في منطقة الشرق الأوسط (يتحرك على قاعدة فوق قومية)(٢٩). ومن هنا تكمن ضرورة قيام القوى الفكرية العربية بعملية مراجعة دائمة وشاملة لمجمل آلياتها وطروحاتها ومناقشتها على نحو علمي دائم، فالمشروع الغربي الجديد يطرح نفسه بديلا مباشراً للمشروع النهضوي العربي، وإحلال لفكر (الأمركة) بديلاً عن الفكر العربي من خلال الهجوم على المظاهر التي تتصف بالخصوصية الفكرية إلى حد ما، ومحاكمتها على أنها الممثل الوحيد لعموم الفكر العربي (٣٠). ومن ثم، فإن كتاباً بدأوا بالتنظير لحقبة تاريخية لما بعد حرب الخليج الثانية من خلال التشديد على الدور الأميركي في عالم جديد (٣١)، دون أن يقدموا بديلاً مقنعاً على المواجهة الجادة للعرب بإزاء سلسلة التحديات الجديدة في حقبة ما بعد الحرب الباردة (١٩٤٥ – ١٩٩١). ولذلك فإن الإبعاد النسبي للقوى المحركة للاستيعاب أو (تسييس) دورها سيعمل على إبقاء حالة الضعف في القدرة على المواجهة ، وسوف يحول دون قيام نماذج محددة تعمل وتتفرغ للفكر والثقافة العربيين، وبالتالي لن يحرز أي تقدم باتجاه الأهداف العلمية والتقانية والثقافية.

إن مقترح إنشاء (مؤسسات مستقلة) تعنى بشؤون الفكر والمعرفة العلمية والثقافة حري بان يجعل اللقاء العربي ممكناً، فقد أثبتت

التجربة في العالم العربي عموماً فداحة أن يكون الفكر العربي انعكاساً للسياسات العربية – الدول – بدلاً من أن تكون السياسة نفسها انعكاساً لنشاطات الفكر وتفاعلاته.

خاتمة

ناقشنا تداعي إمكانات الاستيعاب للفكر العربي الحديث في القدرات الداخلية المتمثلة في ضرورة إقامة منظومة معرفية لقوى الاستيعاب سواء في النظر لتحديات الفكر الغربي، أو في محاكمة موروثنا الثقافي. وكذلك أهمية اعتماد الرؤية العلمية في التحليل ودراسة النتائج. فإعادة التخطيط للمشروع النهضوي العربي لن يكون بدون أطر فكرية واضحة ومتكاملة. إن القوى الخارجية – الغربية بخاصة – بدأت تطرح مشروعها البديل، مما وضع الفكر العربي أمام مازق جديد في أهمية الاستيعاب العلمي والتقاني والثقافي. وقد لا نبالغ إذا ما حددنا أن المواجهة بين الفكر العربي والفكر الغربي ستكون مصيرية في العقود الأولى من القرن القادم لأن الفجوة العلمية والتقانية ستكون ظاهرة تتسرب إلى مختلف شؤون الحياة لدى الإنسان العربي البسيط. وما لم ينهض الفكر العربي بالدور المناط به، فإن تساؤلات حول جدوى طروحاته خلال المائة والخمسين عاماً السابقة ستكون موضع شك؛ وعندئذ سيكون الغزو الثقافي قد وصل شوطه النهائي. فهل من سبيل للحيلولة دون ذلك؟ لقد لخصنا ذلك سريعاً في مقطع عرضي تناولنا فيه أثر الفجوة العلمية والتقانية على الاستيعاب ودور القوى المحركة له، وبذلك نكون قد عالجنا إمكانات الاستيعاب في مجاله الخارجي.

الهوامش

(١) محمد عابد الجابري، **إشكاليات الفكر العربي المعاصر** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط٣ – تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٤ (ص ١٣١.

(٢) د. فؤاد مرسي، **الرأسمالية تجد نفسها** (الكويت: المجلس الوطني للثقافة – ١٤٤٠ هجرية – مارس/آذار ١٩٩٠) ص٨.

(٣) ناجي نعمان، **العالم العربي على عتبة القرن الواحد والعشرين** (لبنان: دار لقمان للثقافة، ١٩٩٣) ص ١٩.

(٤) انعكست تلك الحركة على الناحية التفاعلية للفكر العربي فظهرت – على نحو محدود – أعمال تناقش الفكر الديني في العالم العربي، لكنها لم تلبث أن اختفت في وقت مبكر – من أمثال ذلك ينظر: د. صادق جلال العظم، **نقد الفكر الديني**، (بيروت:؟).

(٥) انطوان زحلان، **العرب وتحديات العلم والتقانة** – تقدم من دون تغيير (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ – آذار/مارس ١٩٩٩) ص ١٧.

(٦) شاخت ويوزورث – تصنيف – **تراث الإسلام**، ترجمة: محمد زهير السمهوري (الكويت: عالم المعرفة –رمضان ١٣٩٨ / أغسطس ١٩٧٩م) ص ٧٣.

(٧) د. محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة** – دراسة ومناقشات (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ – تموز/يوليو ١٩٩١) ص١٠.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٩) د. محمد عابد الجابري، **المسألة الثقافية**(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ – تشرين الثاني/ نوفمبر/ ١٩٩٤) ص ٢٧.

(١٠) حدد محمد عابد الجابري (المنهج البنيوي + المنهج التاريخي + الطرح الايديولوجي الواعي – كذا –: أساس منهج الرؤية) للتفصيل ينظر: د. محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة**، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

(١١) د. محمد عمارة؛ **العرب والتحدي** (الكويت: مطابع اليقظة، د ت) ص ١٩ – ٢٠.

(١٢) (الابستمولوجيا العربية) مقترح أولي وقد أشار له بعض الكتاب والمفكرين العرب هنا وهناك، لكن الشيء الأساسي الذي يهمنا هو كيفية تنظيم المعارف للفكر العربي المعاصر وما القوانين التي تتحكم فيها، ينطبق الشيء نفسه على الموروث العربي أيضاً.

(١٣) د. محمد عابد الجابري، **بنية العقل العربي** – دراسة تحليلية نقدية لتنظيم المعرفة في الثقافة العربية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط ٥ – أيار/مايو ١٩٩٦) ص ٥٦٤.

(١٤) حول اللامعرفات رياضياً ودورها في التفكير ينظر: د. سليم الكتبي، **منهج البحث العلمي في الرياضيات** (منهج التفكير)(جامعة تكريت، ١٩٧٧) ص ١٧ – ٢٠.

(١٥) لمزيد من التفصيل ينظر: إدوارد سعيد، **الاستشراف، نقلة إلى العربية**، كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية – ط١ – ١٩٨١) ص ٢٨٧.

(١٦) للتوسع Ernest Nagel and James Newman, **Godel's Proof**, New York University Press, 1964 :

(١٧) حول دور التاريخ في المعرفة ينظر: د. عزيز العظمة، **الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية** – مقدمة في أصول صناعة التاريخ العربي (بيروت: دار الطليعة – ط١ – ١٩٨٣) ص ١٠٢ – ١٠٤.

(١٨) ناجي نعمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(١٩) د. سمير أمين، **التراكم على الصعيد العالمي** – نقد نظرية التخلف، ترجمة: حسن قبيسي (بيروت: دار ابن خلدون، د ت)ص ٤٠٦.

(٢٠) د. خير الدين حسيب – المشرف ورئيس

الفريق، مستقبل الأمة العربية – التحديات.. والخيارات/ التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ؟)

(٢١) انطوان زحلان، العرب وتحديات العلم والتقانة – تقدم من دون تغيير (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية – ط ١ – آذار/مارس ١٩٩٩) ص١٩.

(٢٢) للتوسع: د. محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم – العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط٣ – كانون الثاني/يناير ١٩٩٤) ص ١٧ – ١٨.

(٢٣) انطوان زحلان ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.

(٢٤) د. نادر فرجاني ، هدر الامكانية – بحث في مدى تقدم الشعب العربي نحو غاياته (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط٣ – أيلول/سبتمبر ١٩٨٣) ص ١٠٥.

(٢٥) انطوان زحلان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٠.

(٢٦) عبدالله النفيسي، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية (محاولة تقويمية) مجلة المستقبل العربي – السنة السابعة عشرة – ع ١٨٦ – آب/اغسطس ١٩٩٤، ص ١١٠.

(٢٧) للتوسع ينظر: د. عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية (بيروت: مؤسسة الرسالة – ط٦ – ١٩٨١م) ص ٥٨ – ٦٠.

(٢٨) حول ضرورات القيام بحوارات مثمرة فكرياً على سبيل المثال ينظر: مواضيع مقترحة للحوار القومي – الإسلامي – مجلة المستقبل العربي السنة ١٧ – العدد ١٨٣ أيار/مايو ١٩٩٤ م – ص ٦٦.

(٢٩) لمزيد من التفصيل حول الخطة الصهيونية في ميدان الثقافة: شمعون بيريز، الشرط الأوسط الجديد، ترجمة: محمد حلمي عبد الحافظ (عمان: الأهلية للنشر – ط١ – ١٤١٤ ه /١٩٩٤م) ص ٦١ – ٦٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٧.

31- Abdul Khaleq Abdulla, *Gulf War: The Socio-Political Background - Arab Studies Quarterly* - vol. 16 Num. 3. Summer 1994, p 1-5.

المصادر العربية والمعربة.

١– الجابري ، محمد عابد (الدكتور)، إشكاليات الفكر العربي المعاصر (بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية – تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٤).

٢– الجابري، محمد عابد (الدكتور)، التراث والحداثة – دراسة ومناقشات (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ – تموز / يوليو ١٩٩١.

٣– الجابري، محمد عابد (الدكتور)، المسالة الثقافية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية –ط١ – تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٤.

٤– الجابري، محمد عابد (الدكتور)، مدخل إلى فلسفة العلوم – العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط٣ – كانون الثاني/يناير١٩٩٤).

٥– الكتبي، سليم حسن (الدكتور)، منهج البحث العلمي في الرياضيات (منهج التفكير) (جامعة تكريت، ١٩٩٧).

٦– العظمة، عزيز (الدكتور)، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية – مقدمة في أصول صناعة التاريخ العربي (بيروت: دار الطليعة – ط١ – ١٩٨٣).

٧– أمين، سمير (الدكتور)، التراكم على الصعيد العالمي – نقد نظرية التخلف، ترجمة : حسن قبيسي (بيروت: دار إبن خلدون، دت).

٨– بيريز، شمعون، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ (عمان: المكتبة الأهلية للنشر – ط١ – ١٤١٤ هجرية/١٩٩٤م).

٩– حسيب، خير الدين (الدكتور) وآخرون، مستقبل الأمة العربية – التحديات..الخيارات/التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٨).

١٠– زحلان، أنطوان (الدكتور)، العرب وتحديات العلم والتقانة – تقدم من دون تغيير (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ – آذار/مارس ١٩٩٩).

١١– سعيد، إدوارد (الدكتور)، الاستشراف – نقله إلى العربية، كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية – ط١ – ١٩٨١).

١٢– شاخت ويوزورث – تصنيف – تراث الإسلام ، ترجمة: محمد زهير السمهوري (الكويت: عالم المعرفة – رمضان ١٣٩٨ أغسطس/آب ١٩٧٩).

١٣– عثمان، عبد الكريم (الدكتور)، معالم الثقافة الإسلامية (بيروت: مؤسسة الرسالة – ط٦ – ١٩٨١).

١٤– عمارة، محمد (الدكتور)، العرب والتحدي (الكويت: مطابع اليقظة – د ت).

١٥– فرجاني، نادر (الدكتور)، هدر الامكانية – بحث في مدى تقدم الشعب العربي نحو غاياته (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية – ط٣ – أيلول/سبتمبر ١٩٨٣).

١٦– مرسي، فؤاد (الدكتور)، الرأسمالية تجدد نفسها (الكويت: المجلس الوطني للثقافة – ١٤١٠ هجرية – مارس/آذار ١٩٩٠م).

١٧– نعمان، ناجي، العالم العربي على عتبة القرن الواحد والعشرين (لبنان: دار لقمان، ١٩٩٣).

المصادر الأجنبية

– Abdulla, Abdul Khaleq, *Gulf War: The Socio-Political Background - Arab Studies Quarterly* - vol. 16 Num. 3.

– Nagel, Ernest and James Newman, Godel's Proof New York University Press, 1964.

بحوث المجلات

– النفيسي، عبدالله، الفكر الحركي للتيارات الإسلامية (محاولة تقويمية) – مجلة المستقبل العربي – السنة ١٧ – ع ١٨٦ – آب/أغسطس ١٩٩٤.

– حمادي، سعدون (الدكتور)، مواضيع مقترحة للحوار القومي الإسلامي – مجلة المستقبل العربي – السنة ١٧ – ع ١٨٣ أيار/مايو ١٩٩٤. ■

العرب وحوار الحضارات في مجتمع المعلومات

د. مصطفى المصمودي*

كَثُرَ الجدل في السنوات الأخيرة حول موضوع صراع الحضارات منطلقاً لنظام عالمي. فالوضع العالمي المعاصر يعرض أمام أبصارنا وقائع تثير الحيرة، وتعصف بما استقرت عليه النظريات السابقة من تحليل أو تفسير.

ويبدو أنّ ما يطلق عليه العصر الإلكتروني، أو مجتمع المعلومات، يمثّل أحد الأسباب الرئيسية لهذه الثورة. وذلك ما يدعو الى اكتشاف الآفاق الإيجابية لهذا المجتمع، وإعداد الخطة لتفادي مؤثراته السلبية مع استجلاء آفاق تطور العلاقات بين المجتمعات في هذا العصر الجديد، وتفاعل الحضارات العالمية من منطلق واقعنا وهُويتنا العربية الإسلامية، وبالبحث عن مكانة الحضارة التي ننتسب إليها في هذا المعترك الدولي.

وسنحاول تناول الموضوع من خلال العناصر الآتية:

- العوْلمة والمعلومات في القارة الخفية؛
- الصورة العربية في ملامحها القديمة والحديثة؛
- الإستراتيجيات الثقافية الجديدة لتأمين الحضور العربي في الخارج [1].

أولاً: العولمة والمعلومات في «القارة الخفية»:

إنّ العَلاقة بين منظومة العولمة ومفهوم الحضارة في مجتمع المعلومات في حاجة الى تحاليلَ ضافية ودراسات معمقة؛ غير أنه يمكننا إبراز البعض من جوانب هذا التناغم الثلاثي من خلال ما كتب حول الموضوع في السنوات الأخيرة.

إن العولمة هي غياب البعد الوطني أو القومي، حيث كانت تقوم المنافسة بكل درجاتها وأنواعها داخل حدود الوطن نفسه. فالعولمة تعني مصنعاً عالمياً واحداً وسوقاً عالمية تهيمن عليها الشركات العابرة للقارات، وتعاملاً تجارياً في قرية عالمية لا تتشابه مع القرية المعهودة في تقاليدها الإنسانية ولا في ثقافتها الشعبية التي تعني تشابك أساليب الحياة.

ويرى بعض المنظرين أن للثقافة جانبين: جانباً روحياً وآخرَ مادياً. يضم الجانب الروحي القيم والمعايير والاعتقادات والتقاليد؛ ويمثل الجانب المادي التجسيد المحسوس لما يصاغ من أدوات ومنشآت لضمان الاستقرار الحضاري والتعايش الإجتماعي. وهذا يعني أن الثقافات المتجانسة والمتباينة نسبياً يمكن أن تشارك في حضارة عالمية واحدة بقدر سعة انفتاحها وتفاعلها مع سائر العالم، مع الاحتفاظ بجانبها الروحي ومميزاتها الخاصة. ويقول صاموئيل هنتنغتون في كتابه صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي: إن الثقافة والهُويّات الثقافية، التي هي هُويّات حضارية، تشكل أنماط التماسك والألفة والمودة بين المنتمين أو المنتسبين الى هذه الحضارة أو تلك. فالناس يعرفون أنفسهم من خلال النسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات. كما أن رموز الهوية، مثل الأعلام وغطاء الرأس والمأكولات والشعارات الدينية (الهلال أو الصليب)،

* رئيس الجمعية التونسية للاتصال ومدير مركز مسماديا؛ عضو المنتدى.

تدخل في الحسبان إلى حد كبير للتعريف بتلك الهوية.

وبصورة عامة، فإن الفروق التي أصبحت تميز بين الشعوب بعد انتهاء الحرب الباردة لم تعد سياسية أو اقتصادية بقدر ما هي ثقافية. ومن هنا تدرّج هنتنغتون إلى تصنيف هذه الحضارات وتقييم وزنها على الساحة العالمية.

١- الحضارات العالمية اليوم:

لقد أصبحت المجتمعات، حسب هنتنغتون، تعتمد الهُوية للدفاع عن مصالحها وتنميتها. وبما أننا لا نعرف من نكون إلا حين نعرف من ليس نحن ومن هم خصومنا، فقد تأكدت ظاهرة الانتساب الحضاري. وعلى ذلك، فإن الكتل الثلاث الكبرى التي كانت قائمة إبان الحرب الباردة قد تركت المجال أمام التكتلات الحضارية. وقد حصرها المؤلف في ثمانية تجمّعات، وهي الغربية والإسلامية والصينية والهندوسية والأمريكية اللاتينية والإفريقية والإرثوذكسية واليابانية.

جدول تعداد المجموعات التي تنتمي إلى الحضارات الرئيسية في العالم

الحضارة	عدد السكان بالألوف) سنة ١٩٩٢	النسبة المئوية	نصيب الحضارات من مجمل الناتج الاقتصادي العالمي ١٩٥٠ - ١٩٩٢
الصينية	١٣٤٠٩٠٠	٪٢٢,٣	٪١٠
الإسلامية	٩٢٧٦٠٠	٪١٧,٩	٪١١
الهندوسية	٩١٥٨٠٠	٪١٧,١	٪٣,٥
الغربية	٨٠٥٤٠٠	٪١١,٥	٪٤٨,٩
الأمريكية اللاتينية	٥٠٧٥٠٠	٪١٠,٣	٪٨,٣
الافريقية	٣٩٢١٠٠	٪١١,٥	٪٢,١
الارثوذكسية	٢٦١٣٠٠	٪٥,٤	٪٦,٢
اليابانية	١٢٤٧٠٠	٪١,٨	٪٨
المجموع	٥٢٨٥٣٠٠	٪٩٧,٨	٪٩٨

ويستنتج المؤلف أنّ الصدارة في الترتيب هي للمجموعة الصينية من حيث تعداد السكان، وتليها المجموعة الإسلامية، وهو يلتقي في ذلك مع هنري كيسنجر الذي يرى أن القوى الرئيسية التي ستؤسس النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين تنتمي إلى حضارات متباينة جدا، ومنها الدول الإسلامية التي ستكون مؤثرة في الشؤون العالمية بفضل مواقعها الاستراتيجية، وتعدادها الضخم، ومواردها البترولية.

وستكون السياسة المحلية في هذا العالم الجديد هي السياسة العرقية؛ أمّا السياسة الكونية فستكون سياسة الحضارات. كما سيكون صدام الحضارات محل المنافسة بين القوى الكبرى.

٢- التأقلم مع الحدود الجغرافية الخفية:

إنه من البديهي أن يتناغم كل خطاب مع المناخ الذي يحيط به؛ كما أنه لا بدّ من الاعتراف بالحدود والفضاءات الجديدة التي أفرزتها منظومة العولمة. والمقصود بهذه الحدود هي تلك "الجغرافيا السرية للاقتصاد الجديد". لقد صدر في الأشهر الأخيرة بباريس كتاب مترجم من الإنجليزية ألفه الباحث الياباني كنيشي أوهماي (Kenichi Ohmae) تحت عنوان القارة الخفية. ومفاد هذا الكتاب أن ظاهرة العولمة أدت إلى ظهور هذا الكيان السياسي الذي ليس له دستور ولا نظام أساسي؛ لكنه يستند الى ميثاق عنوانه الاستقلال في كنف التكامل والترابط والتعايش السلمي (Interdependence) ولهذه القارة مؤشرات مشابهة للقارات الجغرافية المعروفة، كالمساحة وعدد السكان وحجم الناتج ومعدل الدخل... إلى آخره.

ويوضح أوهماي أن الإنسان لم يكتشف بعد مختلف خفايا هذه القارة؛ غير أنه قادر على إدراك ملامحها من خلال أربعة أبعاد، هي: البعد الظاهر، والبعد الافتراضي، والبعد الظَّرْفي، والبعد العابر للحدود.

فالإنسان يمر بالأبعاد الأربعة في اليوم الواحد بحيث يتعامل مع البعد الظاهر حين يشتري غذاءه، ويتفاعل مع البعد الافتراضي حين يستعمل بطاقة دفع ممغنطة، ويلامس البعد الظرفي حين يقف في بهو البورصة، ويدخل في البعد العابر للحدود حين يجلس أمام التلفاز أو الحاسوب ويستفيد عن بعد من مختلف الخدمات الإدارية والتجارية.

ولهذه القارة الممتدة عبر الأراضي والبحور جسور تساعد

على العبور بين منطقة وأخرى؛ لكنها لا تماثل الطرق والمسالك التي عرفها الإنسان في العصر الصناعي. ويتحكم في هذا الكيان المنتجون والمستهلكون على اختلاف مشاربهم؛ وهم غير متفقين على توجه واحد، ولا توحد بينهم إلا اللهفة على الربح السريع، وغزو الأسواق الجديدة، والمنافسة الشرسة. أما الجسور فهي أساساً قنوات التلفزيون الفضائية، وشبكات المعلومات، والإنترنت، ومايكروسوفت... وتسمح الأحكام الضمنية في هذه القارة بالتمييز في المعاملات بين مجموعة سكنية وأخرى، والمراوغة، وعدم احترام مبادىء المساواة، وتجاوز آداب اللياقة. ويمكن لكل راغب أن ينتسب إلى هذه القارة بمحض إرادته، أو تحت التأثير والإغراء، أو بدافع الطموح.

فيجب أن لا تخفى هذه الحقيقة عن أذهان الذين تخلبهم الأنوار المحرقة لهذه القارة الخفية. ولا بد من كشف المشكلات والجوانب السلبية التي يجابهها الإعلام العربي في الخارج أيضاً.

والسؤال الموجه إلى كلّ مفكّر عربيّ هو: ما هي مميزات التعامل مع هذا الظرف الجديد؟ وما هو مستوى حضورنا في هذه القارة الخفية؟ وما هي نسبة تفاعلنا مع مكتشفيها؟ وما هو مقدار استعداد الفكر العربي لتبوّء منزلة فيها؟ وبأي نسق سيكون إقبال الخبرة العربية عليها؟ وهل ستساعد وسائل الإعلام العربية المهاجرة على اكتساح هذه القارة؟ أم ستكون محل مراودة من أطراف خفية لمساعدة المنافسين على إحباط مساعينا، وتشويه صورتنا، وعرقلة انخراطنا في هذا المجتمع المعرفي الذي يقوم على الفطنة والذكاء؟

إن الاستراتيجية الإعلامية هي محور مركزي في هذا المجال؛ كما أنها تمثل ركنا أساسياً من أركان الحوار بين الأطراف المتعايشة في هذا الكيان الجديد، بمن فيهم من عرب وأوروبيين.

لقد كتب الكثير من الإعلام العربي في أوروبا، وعما يتعين بذله من جهود لضمان التعايش الحضاري حتى تكونَ الصورة العربية مقبولة لدى الجمهور الأوروبي، ويكونَ المواطنون في المنطقتين أكثر إحاطة بما يجري حولهم في العالم، وحول مصيرهم المشترك. وكان هنالك وفاق كامل حول ضرورة السعي إلى تحسين سيولة الإعلام العربي نحو أوروبا، وذلك باللغة والأسلوب اللذين يتناسبان أكثر من غيرهما مع المستهدفين والأطراف المتقبلة.

هذه هي المبادئ التي تحركت الأقلام العربية من أجلها في البداية. ويظهر أن هذا الجانب من الرؤية الاستراتيجية، التي وضعتها صفوة عربية مختصة منذ ربع قرن وفي فترة قصيرة تهيأت فيها الظروف المناسبة، غاب اليوم عن الذهن. فأين نحن من هذه الرؤية ؟ وأين نحن من هذه الأهداف السامية؟

لذلك فإنه يتعين علينا العودة الى هذا الإرث الثقافي؛ كما يجب علينا، ونحن نؤكد خصوصياتنا الثقافية، أن نتجنب الإفراط حتى لا نثير لدى الآخرين الضغينة والأفكار المسبقة التي لن يتردد هؤلاء في ربطها بالإسلام، جهلاً منهم بأن من صميم هذه الديانة مفاهيم السماحة والتعقل والانفتاح والمروءة. كما يجب إقناع الآخر بأن العدو الحقيقي للإنسان إنما هو الفقر، وسوء المعاملة، والجور؛ وأن قانون السوق يجب أن لا يؤدي إلى مجتمع السوق، أي إلى قانون الغاب.

إن على كل مجتمع في مستهل هذا القرن الجديد أن يمهد السبيل الى تناغم يستحث الوفاق وحضارة متجددة تستلهم التراث بشكليه المادي واللامادي.

وكما هو الشان في الماضي، فإنه يجب أن تتغذى هذه الحضارة على تنوع القيم والطموحات المشروعة، واحترام الهويات المختلفة، وكذلك قدر كل الشعوب الراغبة في التقدم والتألق. ولن يتحقّق ذلك إلا بدعم إعلامي فاعل.

ومن المؤسف أننا دخلنا في عالم قوامه العنف والارهاب. وتولد ذلك الى حد كبير عن انفتاح الحدود، والتطرف، واشتداد الحاجة والفاقة، حتى في المجتمعات الغنية. وأصبحت الإنسانية تبحث عن حلول ملائمة لقضايا جديدة، وقوانين دولية متميزة، وضوابط أدبية يتقيد بها الجميع في القارة الخفية. وما أحداث ١١ أيلول / سبتمبر إلا مظهر لتحرك قوى الشر. وقد اعتقد بعضهم خطا أن ذلك مظهر لصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

ثانياً: الحضور الحضاري العربي في المناطق المعروفة وفي القارة المجهولة:

لا بد في البداية من توضيح المفاهيم وتسليط الأضواء على المصطلحات التي تضمنها العنوان. فما معنى الحضور الحضاري العربي؟ وما هو الرأي العام المستهدف؟ وما هي علاقة الحضور الحضاري العربي بالصورة التي تجسمه؟ وإلى من تعود مسؤولية العناية بالصورة العربية في نهاية المطاف؟

إن المقصود بالصورة في العلاقات العامة هي السمعة التي يحظى بها طرف ما لدى الجماهير في مكان ما. ويمكن تعريف هذه الصورة بأنها مجموع التمثلات الموضوعية والذاتية التي يحملها الإنسان عن تلك المؤسسة أو تلك الدولة وعن ذلك الشعب. ومن الطبيعي أن تختلف الصورة المأمولة عن الصورة الحاصلة. فالأولى هي الصورة المثالية التي يريد أي طرف أن يحظى بها لدى الجمهور، وهي الصورة التي تتطابق عامة مع مبادئه وأهدافه. أما الصورة الحاصلة فهي الصورة التي يحملها الجمهور عنه فعلا. وغالباً ما تكون ذاتية، لا تحددها العوامل الموضوعية، ولا تتطابق بالضرورة مع الحقيقة المطلقة. فالعاطفة والقيم والمشاعر الشخصية، وطريقة الحصول على المعلومات، كلها عوامل تتضافر لتؤثر في هذه الصورة الحاصلة.

ويتلخّص عمل العَلاقات العامة في محاولة تطوير الصورة الحاصلة وتحسينها حتى تقترب أكثر ما يمكن من الصور المأمولة، لأن الصورة هي المنطلق لكل حوار حضاري. فالعلاقات العامة هي، إذاً، ذلك المجهود المتواصل للتأثير في الرأي العام من خلال أداء مسؤول يحظى بالقبول على أساس تفاعلي بين المرسل والمتلقي؛ وهي تتمثل في الأعمال التي يبادر بها طرف ما تجاه جماهير معينة من أجل الحصول على تفهمها ومحاولة إقناعها بصواب مواقفه وعدالة قضاياه. ويجب أنْ يتّسمَ هذا النشاط بالانتظام والاستمرارية، وألاّ يتوقّفَ عند الحملة الظرفية لمواجهة أزمة عارضة، أو استرجاع ثقة نازلة. ويمثل الرأي العام توافقاً أو إجماعاً بين عدد من الأفراد. ويبرز هذا التوافق من خلال التعبير عن وجهات نظر متعددة. وقد أصبح الرأي العام ينهض بدور متنامٍ في حياة كل المؤسسات الاقتصادية والبلدان أو المجموعات الإقليمية.

إن الاستنتاج الأول من الدراسة هو ضرورة الاعتراف بأهمية التحرك الثقافي الإعلامي في العمل الهادف إلى تغيير العقليات، وتطوير السلوك، وإبراز الملامح الإيجابية للصورة التي نريد تكريسها عن مقومات حضارتنا في المحيط القريب والبعيد.

ويكمن العنصر الثاني للاستنتاج في ضرورة الاقتناع بأن الصورة الخارجية لأي طرف هي الانعكاس المباشر للصورة الداخلية، وهي متغيرة ومتأثرة بالأحداث المحيطة.

ولعل الاستنتاج الأهم هو الإقرار بأن صورة الحضارة العربية الإسلامية في الخارج لم تكن على أحسن ما يكون، وإن هذه الصورة كانت متأثرة غالباً بالصورة الداخلية المتناقضة، وتحت تأثير التطرف والمغالاة.

إن هذه الصورة لن تتحسن إلا من خلال خطة متماسكة، وبرنامج عمل متواصل يراعي كل الاعتبارات الجديدة، وكل مقتضيات مجتمع المعلومات. ويعود هذا المجهود إلى الأطراف المعنية كافة، وفي مقدمتها جامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وسائر المنظمات العربية غير الحكومية والمنتديات الاجتماعية.

ثالثاً: الاستراتيجيات الثقافية الجديدة لتأمين الحضور الحضاري العربي

إن ظهور ثورة المعلومات وتطور تقنيات الاتصال الحديثة من شأنه أن يؤثر تأثيراً مباشراً في هذه العملية الإعلامية من حيث الأهداف والآليات. لذلك فإنه يتوقف على العرب توظيف أحدث تقنيات الإعلام لتحقيق الاستراتيجية الإنمائية الشاملة، وتكريس الهوية العربية بمختلف مكوّناتها، باعتبارها الضامن للمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية على قدم المساواة.

• الاعتبارات الجديدة لتطوير الإستراتيجية الإعلامية

الثقافية العربية في الخارج:

إن الخطاب الثقافي الجديد والتحرك الإعلامي الخارجي الملائم ينبغي أن يتقيد مستقبلاً باعتبارين أساسيين هما :

- الانخراط في مجتمع المعلومات الذي تحتل فيه تكنولوجيا الاتصال موقعاً محورياً في مرحلة التجديد الحضاري.

- توظيف المناهج والآليات الإعلامية الجديدة التي أصبحت من مقومات العمل السياسي الثقافي.

- الانخراط العربي في مجتمع المعلومات:

من حسن الطالع أن يقرر الملوك والرؤساء العرب في السنة الأولى من القرن الحادي والعشرين تسجيل موضوع تكنولوجيا الاتصال والمعلومات بنداً دائماً في سائر اجتماعاتهم القادمة. وفي ذلك وعي بتحديات الألفية الجديدة، وبما يمثله هذا القطاع الاستراتيجي بوصفه جوهرياً للتنمية الشاملة، ولدعم موقع الأمة العربية في العالم، وتعزيز حضورها الثقافي، ولتمكين اللغة العربية من التأثير الفاعل والانتشار العالمي لغة علم ومعلومات.

" وإن تجسيم هذا التصور الإستراتيجي يتمثل، حسب ورقة العمل التي قدمت للقمة العربية الأخيرة، في مجموعة من المبادرات العربية المشتركة، وخطة متكاملة للقرن الجديد. ومن عناصرها برنامج عربي لتنمية تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ونشر لتكنولوجيا المعلوماتية لخدمة الاقتصادات العربية وتحقيق التكامل العربي في مجال صناعة البرمجيات بقصد الوصول إلى سوق عربية مشتركة في هذا القطاع، وإعداد الكفاءات العربية وتأهيلها، وإنشاء صندوق عربي للاستثمار في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ومعهد عربي للبحوث والتكوين في هذا الميدان، وتبادل الخبرات والتجارب، وتوظيف الكفاءات العربية المهاجرة والتعاون معها، والعمل من أجل خلق شراكة عربية، والزيادة في حجم الاستثمارات العربية المشتركة ذات الصلة بهذا المجال، وكذلك توفير الحوافز لدعم صناعات هذه التكنولوجيا وتنميتها وتوطينها باللغة العربية، ونقلها إلى الآخرين بكل ما تتيحه تقنيات الاتصال من آليات ".

وفي هذا الإطار يتعين الإعداد العربي المحكم للمشاركة في الحوار العالمي القادم حول قضايا الإعلام والاتصال والمعلومات. فمن الأكيد أن القمة العالمية الكبرى لمجتمع المعلومات سوف تولي أهمية كبرى لموضوع حوار الحضارات في مجتمع المعلومات؛ كما أن هذه القمة، التي ستمتد على كامل الفترة المتراوحة بين سنتي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٥، سوف تكون متأثرة بفاجعة ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ وبانعكاساتها على حوار الحضارات. وكلنا أمل بأن تمتص تكنولوجيا الاتصال هذه المضاعفات بفضل ما تيسره من فرص للتفاعل الثقافي والتفاهم العالمي.

إن ظهور ثورة المعلومات وتطور تقنيات الاتصال الحديثة من شأنه أن يؤثر تأثيراً مباشراً في العملية الإعلامية من حيث أساليبُها وأهدافُها في العمل السياسي والتحرك الدبلوماسي. فالأمر يتمثل في تحقيق التأهيل الشامل حتى يكونَ الحوار قائماً بين أطراف متكافئة، في ضوء رؤية مستقبلية تنبذ الرجعية والانغلاق وتنشد التفتح والديمقراطية والعدل.

- المناهج الجديدة لدعم الخطاب الثقافي وتكثيف الإعلام الخارجي

يرى المختصون أن ممارسة الحياة السياسية ستتأثر كثيراً بتطور تقنيات الإعلام؛ إذ ستكون الديمقراطية المباشرة قابلة تقنياً للتحقيق لأول مرة في التاريخ من خلال المراسلات

الإلكترونية، ونظام المحاضرات عن بعد (عبر الإنترنت والأقمار الصناعية)، وإلى غير ذلك من التقنيات. وفي هذا المحيط الجديد سيصبح بإمكان المتخاطبين أن يتعارفوا بمزيد الدقة والوضوح، دون حاجة إلى اللقاء المباشر أو الاجتماع العمومي.

من جهة أخرى، فإن امتداد الطريق السريعة للمعلومات عبر الحدود سوف يكون له أثر كبير في الإعلام الخارجي لأن وسائل الاتصال الحديثة ستساعد من خلال البنية التحتية، ومن خلال المضمون، على تجاوز الكثير من الصعوبات ومجابهة المشكلات الجديدة، مثل اتساع ظاهرة الإرهاب وانتشار المخدرات وتلوث الجو والبحار؛ إضافة إلى مختلف المضاعفات الناجمة عن منظومة العولمة الاقتصادية، وانصهار المصالح العليا للدولة في صُلب المصلحة الكونية.

لقد أضحت المهنة الدبلوماسية تبحث عن حدود وآفاق جديدة تحت تأثير تقنيات الاتصال. إلا أن ما تتيحه الثورة الاتصالية من إمكانات، وما ينجز عنها في الوقت ذاته من تيارات تخترق الحواجز والمسافات، يستدعي اليقظة الكاملة والحذر؛ ذلك أن الشبكات التلفازية الفضائية ومواقع الإنترنت ليست كلها مع الأسف ملتزمة بالضوابط الأخلاقية. ففيها الإثارة، وفيها ما يدعو للجريمة وخرق القوانين؛ مما يحث على الكراهية والعنف والإرهاب.

فلا يفوتنا أن الحوار العالمي حول الحرية الإعلامية وتدفق المعلومات والخصوصية الثقافية انتقل من المنظمات الأممية المعنية بالثقافة والعلوم إلى المنظمات التجارية والاقتصادية؛ ومن المنابر الدولية إلى داخل البلدان الكبرى والمجموعات الإقليمية. وقد تفاوتت الآراء بين صانعي القرار وبين ممثلي المنتجين والمستهلكين، وتفاقم الخلاف بين المدافعين عن التحرير المطلق وبين حماة الطفولة والأخلاق من خلال القوانين الدولية.

إن الاعتبارات الواردة في هذه المقالة ما هي إلا محاولة متواضعة لحصر بعض العناصر التي يتعين الأخذ بها لوضع استراتيجية إعلامية شاملة، تقوم على أساس التكامل والتعاون، من أجل توفير الإرادة وتقوية القدرة بتوسيع قنوات التفاهم والحوار. ويستنتج مما ذكرنا الآتي :

- إن منظومة العولمة تلتقي مع مجتمع المعلومات إلى أبعد الحدود.

- أصبحت المجتمعات متفتحة أكثر فأكثر، الواحد منها على الآخر، وتعتمد على الهوية للدفاع عن مصالحها وتنميتها.

- إن القرية الكونية ستقوم على الامتزاج الثقافي العالمي. وما المجتمع الأمريكي إلا نموذج لما سيصبح عليه العالم.

- إن العولمة لا تتناقض مع توجهات الحضارة العربية الإسلامية.

- إن ظاهرة الإرهاب العالمي والتطرف الديني هي وليدة القرية الكونية، وليست مقتصرة على العالم الإسلامي.

- إن أمام العرب فرصاً كبيرة للاستفادة من تكنولوجيا الاتصال لاختصار المراحل نحو التقدم والحوار مع الآخر.

- إن للعرب مكاناً كبيراً في القارة الخفية وفي القارة الكونية.

- إن التجدد الحضاري العربي في مجتمع المعلومات يتوقف إلى حد كبير على خطاب إعلامي حديث، وعلى مجهود كبير لتحسين الصورة العربية في الخارج.

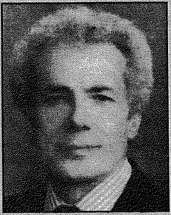
- علينا الاقتداء بالمثل الياباني بعد الحرب العالمية الثانية. ■

لقاءان شهريان

-١-

استراتيجية الأمن القومي الأمريكي*:

الحرب على العراق نموذجاً



أ. حسن الأنباري **

أود في حديثي التالي أن أتناول، بشيء من التركيز وبأكبر قدر ممكن من الموضوعية، الاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي، والحرب التي شُنت على العراق كنموذج لهذه السياسة.

في ١٧ أيلول الماضي أعلن الرئيس جورج دبليو بوش الإستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي، أي بعد سنة تقريباً من كارثة ١١ أيلول ٢٠٠١. لكن عناصر هذه الاستراتيجية وآليات التنفيذ والأهداف كانت تختمر بشكل خاص في عدد من المختبرات السياسية الأمريكية، وفي الفكر الأمريكي خلال عقد كامل منذ انتهاء الحرب الباردة.

ولعل جميع الدول العربية، ومعها المفكرون والمثقفون العرب بمختلف توجهاتهم الفكرية والسياسية، لم تدرك ذلك، أو دلالات القطبية الأمريكية الأحادية، إدراكاً ذا معنى: سواء بالنسبة للقضايا العربية المعلقة، أو بالنسبة لأوضاعنا الداخلية. حتى بعد هجوم ١١ أيلول لم تتغير الرؤية العربية لما كان يتفاعل حولنا خلال هذا العقد من أحداث وتطورات ما تزال تمتلك القدرة الكامنة على إعادة تشكيل مستقبلنا القريب، وربما هويتنا القومية. قد يشعر البعض، هنا أو خارج هذا اللقاء، أن في مثل هذا القول شيئاً من المبالغة، ولكن الواقع أن الأمة خسرت نفسها، وخسرت كل الأندلس بعد تأصل هناك لثمانية قرون، أي أكثر من نصف المدة منذ بزوغ الإسلام وحتى اليوم.

أعود لصلب الموضوع فأشير إلى ظهور تيارين متداخلين اكتسحا الساحة الفكرية والسياسية في الولايات المتحدة منذ ١٩٩١ و حتى اليوم. التيار الأول يتسم بتنامي قوة ما يسمى "بالمحافظين الجدد" وصعودهم المفاجئ في الحزب الجمهوري. أفكار هذا التيار تبلورت وأصبحت مجدولة ببعض الروايات التوراتية ، وبالتالي أضحت في جانب منها

* اللقاء الشهري رقم (٢٠٠٣/٤) بتاريخ ٢٠٠٣/٤/١٦.
** مستشار الشؤون الدولية في المعهد الدبلوماسي؛ عضو المنتدى.

ايديولوجية دينية تؤيد إسرائيل، كما أضحت تتميز بإيمان مفرط بالوطنية الأمريكية المتطرفة وباستخدام القوة أداة في تحقيق الأهداف الأمريكية، دون اعتبار كبير لقواعد القانون الدولي. وقد استطاعت هذه المجموعة بعد إرهاب ١١ أيلول ربط القضية الفلسطينية بالإرهاب العالمي، ومن أبرز شخصيات المحافظين الجدد جيمس وولزي، رئيس وكالة الاستخبارات المركزية السابق، وإيليوت كوهن، أستاذ الدراسات الإستراتيجية في مدرسة الدراسات الدولية المتقدمة في جامعة جونز هوبكنز. و قد أوجد إرهاب ١١ أيلول تحالفاً بين المحافظين الجدد والصقور التقليديين، و اليمين المسيحي و كبار مستشاري الرئيس مثل كارل روف.

أما التيار الثاني فيتمثل بإنتاج عدد من مؤسسات البحث و الفكر اليهودية، و هي ممولة تمويلاً جيداً، و تمثل ملتقى لوضع الدراسات التي تؤثر في صنع السياسة الأمريكية، ومنصة لترويج أفكار المحافظين الجدد. و من هذه المؤسسات مركز دراسة السياسة، ومعهد أميركان إنتربرايز، والمعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، ومنتدى الشرق الأوسط، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى. ومن أبرز "مفكري" هذه المؤسسات بول وولفوفتز، نائب وزير الدفاع حالياً وريتشارد بيرل، العضو النافذ في المجلس الاستشاري لوزارة الدفاع.

وقد ساعدت كارثة ١١ أيلول على تبني إدارة الرئيس بوش لأهم أفكار هذين التيارين، خاصة في صياغة الاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي. وأود، نموذجاً لأفكار المحافظين الجدد ومفكري مراكز البحوث اليهودية في هذا السياق، أن ألقي بعض الضوء على تقرير أعده فريق دراسي من مؤسسة الدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة عام ١٩٩٦، وهو يتضمن استراتيجية مقترحة للحكومة الإسرائيلية نحو العام ٢٠٠٠.

The Institute for Advanced Strategic and Political Studies, "A New Israeli Strategy Toward 2000".

وأبرز من شارك في الدراسة ريتشارد بيرل من مؤسسة انتربرايز. وقد دعت هذه الدراسة إلى إسقاط نظام صدام حسين في العراق، والتعاون بين اسرائيل وتركيا وبعض دول المنطقة لعودة النظام الملكي إلى العراق، وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط وتحييد سوريا.

أما النموذج الآخر فتقرير بعنوان " توجيه تخطيط الدفاع " الذي كتبه بول وولفوفتز، وليبي لويس، لوزير الدفاع في حينه ديك تشيني سنة ١٩٩٢. و الوثيقة تشدد على ضرورة هيمنة عسكرية أمريكية طاغية، واستعمال القوة في شكل استباقي أو إجهاضي.

والجدير بالملاحظة في إطار ما تقدم أن نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد يعتبران من مؤيدي المحافظين الجدد، وكذلك نائب وزير الدفاع وولفوفتز، وعضو المجلس الاستشاري في وزارة الدفاع ريتشارد بيرل.

أكد الرئيس بوش في خطابه يوم ١٧ أيلول ٢٠٠٢، الذي فصل فيه استراتيجية الأمن القومي الجديدة، أن الولايات المتحدة ستلجأ إلى القوة بمفردها عند الحاجة بصورة استباقية ضد أي تهديد تراه ضد مصالحها وأمنها القومي، ودون أن تردعها قواعد وأعراف المجتمع الدولي. وقد اعتبرت هذه الأفكار من قبل الكثيرين من المفكرين والمحللين الأمريكيين والأجانب "رؤية استعمارية جديدة" تفوض بموجبها الولايات المتحدة نفسها الدور العالمي في تحديد المعايير، وفي أن تقرر طبيعة أي تهديد يدعو إلى استخدام القوة الأمريكية الاستباقية، إضافة إلى فرض مفهومها للعدالة. وبموجب هذه

الرؤية تصبح السيادة الأمريكية سيادة مطلقة كما يرى هؤلاء المحللون، أما سيادة الدول الأخرى التي تتحدى معايير واشنطن فسيادتها مشروطة.

وقد أشار الرئيس بوش في خطابه إلى أن هذه الرؤية أضحت ضرورية نتيجة للطبيعة الجديدة للتهديدات الإرهابية. فالإرهاب الدولي ذو طبيعة زئبقية، مقارنة مع التهديد العسكري وطبيعة الردع اللذان سادا فترة الحرب الباردة. وبالتالي أصبح من الضروري، وفقاً لمنظور الاستراتيجية الجديدة، إعادة التفكير في المبادئ التنظيمية للنظام الدولي، والسعي إلى توافق دولي جديد حول التهديدات الإرهابية وأسلحة الدمار الشامل.

ويمكن تلخيص أبرز عناصر الاستراتيجية الجديدة، وهي عناصر متكاملة ومترابطة، على النحو التالي:

١- تبدأ الاستراتيجية بالتزام أساسي بالمحافظة على عالم أحادي القطبية، خالٍ من أية دولة ندية منافسة للولايات المتحدة. وكان بوش قد جعل هذه النقطة حجر الزاوية في السياسة الأمنية للولايات المتحدة في خطاب له في حزيران ٢٠٠١ أكد فيه أن أمريكا تمتلك قوات عسكرية تتفوق على جميع التحديات وتنوي أن تحتفظ بها، وأن الولايات المتحدة لن تسعى إلى البحث عن أمن من خلال استراتيجية نظام عالمي لتوازن القوى أو استراتيجية تقلل من أهمية القوة. وأضاف أن أمريكا ستكون أقوى من جميع الدول الرئيسة الأخرى، وبالتالي ستختفي المنافسات الاستراتيجية والتنافس الأمني فيما بين الدول الكبرى.

والجدير بالملاحظة أن هذا التوجه ظهر أصلا ، كما ألمحت في البداية، في مذكرة كتبها وولفوفتز، مساعد وزير الدفاع في إدارة بوش الأولى. كتب وولفوفتز في حينها أن مع انهيار الاتحاد السوفيتي ينبغي على الولايات المتحدة أن تعمل على منع صعود أية دولة ندية منافسة في أوروبا وآسيا، أي سواء كان ذلك روسيا أو الاتحاد الأوروبي أو الصين.

٢- أما العنصر الثاني فيتكون من تحليل جديد لطبيعة التهديدات العالمية. وعلى حد تعبير الرئيس بوش في خطابه في ١٧ أيلول ٢٠٠٢، فإن الولايات المتحدة سوف تستخدم القوة العسكرية أو أية وسيلة تراها مناسبة للقضاء على التهديدات الإرهابية قبل أن تظهر للوجود. إن أمريكا هي التي تقرر أياً من الدول هي دولة مارقة، وأياً منها يجب إيقافها بالقوة عند الحاجة قبل أن يهدد عملاؤها من الإرهابيين أمن الولايات المتحدة. وأوضح بوش أن أمريكا "لن تستخدم القوة لاستباق التهديد وهو في دور التكوين في جميع الحالات".

٣- أما العنصر الثالث للاستراتيجية الجديدة فهو ، كما تمت الإشارة إليه، أن مفهوم الردع الذي كان سائداً خلال الحرب الباردة قد تعدته الأحداث. فالتهديد المعاصر مصدره شبكات إرهابية عبر وطنية ليس لديها عنوان دائم. بعبارة أخرى، إن الواقع الجديد هو أن مجموعات صغيرة من الإرهابيين ربما تساعدهم دول مارقة، حسب رأي الولايات المتحدة، قد يمتلكون قريباً أسلحة دمار شامل، مما يتحتم القضاء عليها بشكل استباقي، أي أن الخيار الوحيد وفقاً لهذه الاستراتيجية هو الهجوم. وقد برر وزير الدفاع رامسفيلد العمل الاستباقي بقوله: «إن غياب الدليل ليس دليلاً على عدم وجود أسلحة للدمار الشامل».

إن مثل هذا التوجه يجعل القواعد الدولية للدفاع عن النفس (المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة) عديمة المعنى تقريباً. أما الإدارة الأمريكية فتدافع عن هذا المبدأ الجديد للدفاع عن النفس، أي الضربة الاستباقية حتى بدون وجود تهديد واضح، بالقول إنه تكيف ضروري يحتمه التهديد

الإرهابي غير المؤكد. ويعني هذا التبرير في نظر كثير من الكتاب ترك العالم بدون معايير واضحة ودقيقة تبرر استخدام القوة استخداماً قانونياً.

٤- ويتضمن العنصر الرابع إعادة صياغة مبدأ السيادة. فالولايات المتحدة ترى أن الدول التي تأوي الإرهابيين بموافقة تلك الدول، أو لفشلها في فرض قوانينها ضد الإرهابيين ضمن أراضيها، تتخلى فعلياً عن حقوق السيادة.

وفي هذا السياق تنجدل الحرب على الإرهاب مع مشكلة انتشار أسلحة الدمار الشامل. فالإدارة الأمريكية ترى أن بعض الدول المستبدة، كالعراق وإيران وكوريا الشمالية، قد تطور قدراتها على إنتاج أسلحة الدمار الشامل وتضعها في أيادي الإرهابيين. وبذلك تبلور لدى الإدارة الأمريكية مبدأ أن امتلاك أسلحة للدمار الشامل من قبل دول غير صديقة للولايات المتحدة يشكل تهديداً إرهابياً يجب التصدي له. هذا يعني طبعاً أن دولاً لم تخرق من الناحية الفنية أي قانون دولي يمكن أن تصبح هدفاً للقوا ت الأمريكية. كما يعني أن الولايات المتحدة تعطي لنفسها الحق في تقرير متى يتم تخلي دولة ما عن حقوقها السيادية.

٥ – العنصر الخامس في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي تعني التغاضي عن احترام القواعد الدولية والشراكة الأمنية عندما تقتضي المصالح الأمريكية ذلك، أي أن تتصرف الولايات المتحدة في العالم وفقاً لمعاييرها فقط: الموقف مثلاً من بروتوكول كيوتو، والمحكمة الجنائية الدولية، واتفاقية الأسلحة البيولوجية.

٦ –والجدير بالملاحظة أيضاً أن الولايات المتحدة وفقاً للاستراتيجية الجديدة تولي، كما يبدو، أهمية ضئيلة عند الحاجة للاستقرار الدولي. فمنظرو وزارة الدفاع يرون في حالة كوريا الشمالية أن عدم الاستقرار الذي قد تفضي له السياسة الأمريكية في المنطقة قد يكون الثمن اللازم للتخلص من نظام "خطر وشرير" في بيونغ يانغ. وربما تشعر الولايات المتحدة في حالة العراق أن عدم الاستقرار الإقليمي المحتمل قد يخدم مخططاتها في إعادة ترتيب المنطقة.

كما يلاحظ أن مبدأ الحرب الاستباقية يشكل سابقة قد تشجع دولاً أخرى على اللجوء إلى نفس المبدأ، مثل باكستان والصين وإسرائيل، مما يشكل تهديداً جدياً في المستقبل للاستقرار والسلام في العالم، إضافة إلى تهديد الأسس التي قامت عليها الأمم المتحدة.

أين موقع العراق الآن من هذه الاستراتيجية؟ ولماذا اختير العراق دون الأضلاع الأخرى لمثلث الشر، حسب التعبير الأمريكي؟ في تقديري السبب الأول وليس الهدف، السبب الأول: أن العراق يمثل قوة كامنة إن لم تكن فعلية، قادرة مستقبلاً على أن تهدد أمن إسرائيل والمصالح الأمريكية في المنطقة. دعوني أروي لكم قصة خاصة. عند انعقاد مؤتمر القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا في عمان (١٩٩٦)، كنت جالساً خلال المؤتمر مع ضابط من الوفد المصري، واستأذن للجلوس معنا رجل قال إنه زئيف شيف، مراسل هآرتس الإسرائيلية. وأثناء حديثي بالعربية مع زميلي المصري، قال شيف: أنت من العراق! قلت : نعم من العراق. قال: دعني أروي لك شيئاً مهماً في إسرائيل وفي الفكر الإسرائيلي الاستراتيجي. الحقيقة إن أهمية العراق بالنسبة للتفكير الاستراتيجي لإسرائيل تأتي، كما زعم، قبل مصر وقبل سوريا والأردن. فجزء من تاريخنا في العراق، عدد من أنبيائنا في العراق، ولو وضعنا الثروة العراقية، والعقلية العراقية والإسرائيلية، كما قال، نستطيع معاً أن نخضع الشرق الأوسط لنفوذنا المشترك. وربما تعكس أقوال هذا الرجل هاجساً إسرائيلياً دائما تجاه ترتيب الوضع في

العراق في المستقبل. ويتضح هذا من الدراسة التي سبق الإشارة إليها، والتي توصي الحكومة الإسرائيلية بالعمل على تغيير النظام في العراق بما يتوافق والمصالح الإسرائيلية.

من ناحية أخرى، اختير العراق نموذجا لتطبيق الاستراتيجية الجديدة لأنه كان متهماً دولياً، ومنذ سنين، بالسعي لتطوير أسلحة الدمار الشامل، وهو وفقاً للاتهامات الأمريكية يقيم علاقات مع منظمات إرهابية، وبالتالي تنطبق عليه من هذه الزاوية استراتيجية الضربة الأمريكية الإستباقية. أما بالنسبة لمحيط العراق الإقليمي، فالملاحظ أن الدول العربية ، ودول الجوار بالذات، لم تكن في وضع تستطيع معه أن تثني الولايات المتحدة عن ضرب العراق ، أو أن تعرقل وتخلق مشاكل لمثل هذه العملية. بل بالعكس، فنحن نعرف جميعاً أن بعض الدول العربية قدم المال والأرض والبحر وأجواءه الوطنية للقوات الأمريكية لضرب العراق. ومقارنة بكوريا الشمالية، فهناك الصين، بل حتى كوريا الجنوبية الحليف القريب من الولايات المتحدة، عارضتا معارضة شديدة أن تضرب كوريا الشمالية، وتقدمتا بمقترحات لتسوية المشكلة. نحن في الوطن العربي كلنا نقول سيؤدي ضرب العراق إلى عدم الاستقرار، وقليل من قال: إن هذا مخالف للقانون الدولي، ومخالف لميثاق الأمم المتحدة، وربما مخالف لمصالح أمريكا نفسها في المستقبل، وإنه سيؤدي إلى الإضرار بالشعب العراقي. لم تقدم دولة عربية واحدة اقتراحاً مدروساً بالتنسيق مع الدول العربية الأخرى لتسوية الأزمة قبل الحرب، أو لمعالجة آثار الحرب إن وقعت. لو اتخذت الدول العربية مثل هذا الموقف لربما أثر ذلك في نتيجة المداولات التي جرت في مجلس الأمن، وربما في أمريكا نفسها. المهم أن كوريا الشمالية بالمقارنة مع العراق تبدو في وضع تستطيع معه أن تعتمد على الجيران، مثلما اعتمدت وقتها فيتنام على بعض دول الجوار.

والنقطة الأخرى بالنسبة للعراق أنه مفتاح من الناحية الجيواستراتيجية والجيوسياسية، ومفتاح لإنشاء طوق من السيطرة الأمريكية يمتد من أفغانستان إلى إيران إلى تركيا فالخليج فنقطة البداية هي العراق. كما أن العراق لسوء حظه يمتلك كميات هائلة من النفط، ولديه ثاني خزين احتياطي في العالم، ويقدر بعض الخبراء الدوليين أنه في المستقبل القريب قد يمتلك الاحتياطي الأول في العالم ، لذلك فإن السيطرة على النفط العراقي عن طريق حكومة موالية فيه سيعني بالنسبة للولايات المتحدة من بين أشياء أخرى:

أولاً: التأثير على استيرادات الصين من النفط، وبالتالي التأثير على إمكانات نموها الاقتصادي وتطوير قواتها المسلحة، علماً أن الصين تستورد ٥٠٪ من نفطها من هذه المنطقة، ومن العراق بالذات.

ثانياً: تستطيع أن تسيطر عبر الحكومة العراقية والسياسة النفطية العراقية على الإنتاج وعملية العرض والطلب والتسعيرة بشكل يؤثر على ميزانيات السعودية وروسيا، فالتنمية السعودية والروسية تعتمدان إلى حد حيوي على الموارد النفطية.

أوبك يمكن أن تحطم عن طريق العراق إذا اقتضت المصالح الأمريكية. هذا في ما يتعلق بالنفط. هذه الاعتبارات لا تنطبق على كوريا. كما إن إيران لقمة أكبر من العراق، فموانئها مفتوحة على الخليج وعلى المحيط الهندي، وفيها المد الديني قوي، وبالتالي من المتوقع أن تكون المقاومة مستميتة. التسلح الإيراني كما تعرف الولايات المتحدة تسلح قوي، وهو أفضل بكثير من التسلح العراقي. بعد احتلال العراق، إذا لم يكن النفط سبباً، كما تعتقد مؤسسة أكسفورد

للطاقة، فهو هدف جدير بالحصول عليه بعد الاحتلال.

لهذا السبب اختير العراق. ولكن يا ترى هل ستستطيع الولايات المتحدة في الحقيقة السيطرة السياسية عليه وخلق حكومة طيعة للولايات المتحدة؟ من يعرف تاريخ العراق يشكك في ذلك. دعونا من الفكرة والنظريات التي قيلت حول استسلام بغداد من دون مقاومة، هذا شيء آخر، وله، ربما، أسبابه المعروفة. ولكن العراق كتجربة فقد كان في بداية نشوئه، وكان عمره عمر طفل بين الحرب العالمية الأولى ولغاية ١٩٢١، حين عمت البلد ثورة طاغية أربكت القوات البريطانية المحتلة. واستطاعت أن تحاصرها في مدينة الكوت لمدة شهرين لم يدخل ماء أو غذاء خلالهما إلى القوات البريطانية المحاصرة، التي فاق عددها أكثر من عشرين ألف جندي، إلى أن استسلمت الحامية البريطانية، ثم اضطرت لندن سنة ١٩٣١، بعد أقل من عشر سنوات من الاحتلال، أن تمنح العراق الاستقلال وتوصي بدخوله عصبة الأمم.

الفرد العراقي نتيجة مكونات تاريخية مختلفة أنوف بطبعه، شديد المراس، يغضب بسرعة، ويقاوم كثيراً. أم قصر مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها ٤٠ ألف نسمة. قاومت الزخم الأول للقوات البريطانية والأمريكية لمدة أسبوع، ولهذا لم يمض سبعة أيام على الاحتلال الأمريكي حين قامت أكثر من سبع مظاهرات في بغداد تندد بالاحتلال، كما نددت بنظام صدام حسين وأهزوجتها "لا لصدام ولا للاحتلال الأمريكي"، فساوت بين الاحتلال وصدام. وأنا مقتنع بأنه بعد فترة أشهر قليلة ستجد الولايات المتحدة مقاومة واسعة، وأن من مصلحتها أن تنسحب من العراق وتنظم نوعاً من الانتخابات لبزوغ حكومة مستقلة.

النقطة الأخيرة، فكرة أحادية القطبية، ومنع أية دولة أخرى من أن تنافس الولايات المتحدة وأن ترتقي في قوتها إلى مستوى الولايات المتحدة. هل هذا ممكن أن يتحقق؟ كثير من المحللين يرون أن هذا سيستغرق بعض الوقت، ولهذا سارعوا إلى تسمية هذا القرن بالقرن الأمريكي. آخرون يرون أنه ليس من السهولة للدول الأوروبية، خاصة فرنسا وألمانيا، أن تلقي السلاح مجازاً وتسمح للولايات المتحدة أن تنفرد في التصرف في السياسة الدولية، لأن ذلك سيقضي بدرجة كبيرة على مصالحها وعلى مكانتها الدولية. ولهذا رأينا تمسك فرنسا باستخدام حق الفيتو، لأنه يمثل مكانة فرنسا الدولية وهي غير مستعدة أن تتنازل عنها. وأرى أن الولايات المتحدة في النتيجة ستضطر إلى تغيير هذه الاستراتيجية نتيجة لرفض الرأي العام الأمريكي، وهو العامل الأقوى، لهذه السياسة. فالمجتمع المدني الأمريكي، ومفكروه، وقطاع واسع من الرأي العام الأمريكي سيجدأن الاستراتيجية الجديدة تثير له على المستوى الدولي والداخلي من المشاكل أكثر مما يتماشى والتقاليد الديمقراطية الأمريكية. وليس من المستبعد أن تؤدي مشاكل الاقتصاد الأمريكي المحتملة إلى تعزيز الضغط للحد من نفوذ المحافظين الجدد وما سمي بعقيدة بوش نفسها، تماماً مثلما دوى أكثر من تيار متطرف في التاريخ الأمريكي.

وفي هذا السياق أرى كذلك أن مصالح الدول الأوروبية والدول النامية قد تدفعها من خلال الدبلوماسية العامة إلى إجراءات مدروسة لتعزيز الجهود وتنسيقها مع منظمات المجتمع المدني ومفكريه لتخلي الولايات المتحدة في المستقبل عن استراتيجية الأمن القومي الجديدة. ■

لقاءان شهريان
-٢-

الوضع العربي:
المستقبل المنظور*

نعيش هذه الأيام تداعيات احتلال العراق، ونحمد الله أننا لم نضعها خلف ظهورنا بعد، إذ مازال الكثيرون منشغلين ليس فقط بمعرفة ما حدث، بل أيضا بمحاولة إعطاء الحدث الوصف المناسب، والتنبؤ بآثاره على العراق والعرب سواء بسواء.

فماذا نسمي هذا الحدث ؟ هل نسميه زلزالا كي نعمل فقط على إزالة آثاره؟ أم نسميه تحريرا كما يراه البعض، وبخاصة في العراق، كي نعبر عن ابتهاجنا وفرحتنا؟ أم نسميه نكسة من باب خداع النفس؟ أم كارثة قومية نضيفها إلى سجل الكوارث؟ أم نسميه بداية موفقة لتغير مفروض من الخارج، كما يشعر البعض ؟

لقد اخترت أن أنأى بنفسي عن أي من هذه التسميات وما تعكسه من مفاهيم عاطفية أو ايديولوجية، وفضلت أن أرى في الحدث العراقي حفرية سياسية اجتماعية سأحاول قراءة ما أستطيع من رموزها وألغازها لعلها تساعدني على التنبؤ بالمستقبل المنظور. وعلى هذا الأساس سأحاول تحليل بعض جوانب الوضع العربي السائد الذي شكل خلفية الحرب الأمريكية على العراق، ثم سأنتقل، إذا تمكنت، إلى محاولة طرح أفكار قد تعيننا على إجراء مناقشة حول المستقبل المنظور.



أ. عدنان أبو عودة**

لم يكن سقوط بغداد الثاني أول فرصة تزودنا بحفرية سياسية اجتماعية لقراءتها، فقد سبق أن زودتنا أحداث مشابهة أخرى بفرص مشابهة، وتغاضينا فيها عن رؤية الحفرية، وفضلنا رؤية شيء آخر في كل كارثة وطنية أو قومية.

أسميناها نكسة، تلك كانت الهزيمة العربية العسكرية في حزيران ١٩٦٧. والذي أطلق الاسم كان إحدى الدول

---

* اللقاء الشهري رقم (٥/٢٠٠٣) بتاريخ ١٩/٥/٢٠٠٣.

** كاتب ومحلّل سياسي؛ عضو المنتدى.

المهزومة. وسرعان ما التقطتها أجهزة الإعلام العربية، وجميعها رسمية أو تحت سلطة الرسمية العربية، ثم تبنتها بحماس مشهود، حيث وجدت فيها ضالتها. فهي من جهة تخفف وطأة الحّس بالهزيمة لدى الشعوب العربية (وحينئذ كانت هناك شعوب)، ومن جهة أخرى تمنح الأمل (وقد ثبت فيما بعد أنه كان وهْما) بأن تجاوز الهزيمة ممكن ووشيك. وأسماها الغربيون من باحثين ودارسين وصحفيين بالزلزال السياسي، وقد ثبت أن تسميتهم كانت أصوب وأدق لان تلك الهزيمة الساحقة شكلت بداية تغيير التضاريس السياسية والنفسية في سائر أركان العالم العربي أنظمة وشعوبا.

مفهوم النكسة حرمنا من القيام بمراجعة المفاهيم العربية السائدة حول الدولة والمجتمع والأمنين الوطني والقومي، وتطورها بما ينسجم مع مصالح أمتنا والتحديات الجمة التي تواجهها في المرحلة الانتقالية التي كان من المفترض أننا شرعنا بعبورها نحو الحداثه منذ بداية حقبة الاستقلال.

أما مفهوم الزلزال الذي تبنته الدول النافذة في تعاملها مع دول الإقليم، بما في ذلك إسرائيل، فقد ساد وحكم سيرورة التشكيل الجديد للمنطقة وفق هوى ومصالح تلك الدول ومن أبرز مظاهره التي نعيشها الآن، وما زالت تتعمق، انحسار التفكير الرسمي العربي الجمعي لصالح العمل الثنائي بين كل قطر عربي والولايات المتحدة، وبخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وتوازى مع هذه السيرورة سيرورة انحطاط عربي سياسي كانت من أهم سماته تحول الدول العربية وشعوبها المحكومة بأنظمة أبوية إلى موقع المتلقي المطلق لما يوحى لها أو يفرض عليها من إفرازات سيرورة التشكيل الجديد.

وتوازت مع السيرورتين الأولى والثانية سيرورة ثالثة نجمت عن ارتفاع أسعار النفط التي أطلقت ديناميـة الاستهلاكية في سائر المجتمعات العربية، والتي عملت بدورها على إعادة إنتاج الفرد العربي بشكل جعلته يتجه نحو دواخله منطويا على ذاته، وسامحا لاهتماماته الخاصة أن تطغى تدريجيا على همومه العامة إلى أن أزاحت الأولى الثانية، ففقد بذلك توازن المواطن فيه وأصبح يعيش مع اهتماماته الخاصة ومن أجلها، ولم يعد مواطنا في بلده بل مقيما في مجتمع شبه طارئ. وتحول الشعب إلى سكان، والوطن إلى مكان إقامة. وقد لعب النظام السياسي العربي في كل قطر عربي دور العامل المساعد في ذلك حينما أغلق على المواطنين طريق المشاركة السياسية الحقيقية، وأسس مفهوما غريبا للأمن الوطني، إذ حصره في أمن السلطة الخاص فقط بعيدا عن مفهوم الأمن الشامل للمجتمع الذي يساوي كما في البلدان الديمقراطية بين قيمة المؤسسة السياسية والمؤسسة الاجتماعية، ويوازي بين أمن الخارج وأمن الداخل. ونتيجة لهذا المفهوم القاصر للأمن الوطني قطع النظام السياسي الأبوي في الأقطار العربية الطريق على النقد الإصلاحي، وحوله إلى تهمة تحت أسماء مناسبة يعاقب عليها القانون، ويجعل من أصحابها ملاحقين من قبل أجهزة الأمن التي نمت وترعرعت حتى غدت – هي دون غيرها – صورة الحكم، ونما وترعرع معها الخوف من الحكم، وانزرع في نفس كل مواطن شرطي يقود خطواته في حياته اليومية، وبشكل خاص فيما يقول أو يكتب. ونشدانا للسلامة الشخصية نأى الناس بأنفسهم عن الأحزاب السياسية، ولجأ الصامدون منهم إلى المنظمات الأهلية من نواد وجمعيات ونقابات وروابط لعلها تمنحهم فرصة مهما صغرت للتعبير عن آرائهم في بعض الهموم الوطنية. أما الأغلبية الساحقة فقط طلقت العمل العام، وآثرت الفيء إلى الامتثالية، وركزت على اهتماماتها الخاصة التي تراوحت، حسب موقع الفرد المقيم في الدولة في السلم الاجتماعي، بين الحصول على عمل أو وظيفة لتأمين القوت لنفسه أو عياله إذا كان في أدنى السلم الاجتماعي، إلى الاطمئنان إلى أن التيار الكهربائي لا ينقطع، والماء يصل البيت، وجامع القمامة يأتي بانتظام، وأنابيب الغاز متوفره، والأبناء ينجحون في صفوفهم وينالون درجات في امتحان التوجيهي تؤهلهم لدخول الجامعات الحكومية، وتأسيس معرفة أو صداقة مع واحد وأكثر من أهل السلطة للجوء إليه عند الحاجة، وأخيرا الحصول على جنسية أمريكية أو كندية أو أسترالية له ولعائلته إن أمكن، ولأولاده النابهين على الأقل، وإذا حصل

عليها فتلك لعمرى قمة الإنجاز – هذا إذا كان الفرد المقيم في الدولة من الطبقة الوسطى. باختصار نشأت حالة من التدابر أو الانفصال بين السلطة والشعب. ولكن ! أليست هذه الاهتمامات الخاصة مشروعة ؟ الجواب على ذلك نعم. أو ليست هذه الاهتمامات الخاصة أيضا هي في معظمها اهتمامات المواطن في الدول الصناعية الديمقراطية ؟ والجواب على ذلك أيضا نعم ، ولكن مع فرق جوهري كبير.

في مجتمعنا العربي تملأ الاهتمامات الخاصة دائرة الحياة الفردية من المركز حتى المحيط، الذي قد يحمل آثار هموم عامة عند البعض، وقد لا يحمل أي آثار لها عند البعض الآخر. أما في الدول الديمقراطية، فإن حياة المواطن فيها تتشكل من دائرتين متحدتي المركز: واحدة تملأها الاهتمامات الخاصة، والأخرى تملأها الهموم العامة، التي يتعاطى معها المواطن ضمن آليات نمت وترسخت مع الوقت تعبيرا عن المشاركة السياسية التي تشكل جوهر الديمقراطية، أي أن الاهتمامات الخاصة للمواطن في الأنظمة الديمقراطية لا تنفي وجود الهموم العامة كما هو الحال مع الفرد المقيم في ظل أنظمة الحكم الأبوية السائدة في العالم العربي التي تتدرج من الأبوية الحميدة إلى الاستبداد حسب التطور التاريخي للقطر العربي الواحد، وحسب ثروته. ففي الديمقراطيات هناك وطن ومواطن ودولة وأمة ، وفي الأقطار العربية هناك مقيم ومكان إقامة ودولة بلا أمة، باستثناء دولتين إلى أربع تجسد مفهوم دولة الأمة، ولكنها في نفس الوقت تشبه بقية الدول العربية في كونها تحكم بأنظمة سلطوية لا يمكن أن تعبرعن إرادة شعوبها في غياب المشاركة السياسية الحقيقية. وإذا كانت جامعة الدول العربية هي المكّون الأبرز في النظام العربي، فمن الطبيعي ألا تكون قراراتها كما يدل عليها اسمها معبّرة عن مشيئة الشعوب العربية أو مصالحها، بل مشيئة حكامها. وإذا ما أضفنا إلى البعد السياسي المتسم بغياب المشاركة السياسية – الذي أنتج التدابر أو الانفصال بين السلطات الحاكمة والشعوب، مثلما أنتج بنى نفسية بعيدة عن مفهوم المواطنة حقوقا والتزامات – الحروب الداخلية والخارجية الحمقاء، أو المفروضة التي بددت الثروة العربية، والتخطيط الاقتصادي المركزي الفاشل لأنظمة سلطوية لا تعرف الشفافية ولا تخضع للمحاسبة، وفوضى تربوية وتعليمية بعيدة كل البعد عن الإدارة السليمة لتنمية الموارد البشرية، نستطيع حينئذ أن نفهم بشكل أفضل لماذا ترتفع نسبة الفقر والبطالة في إقليمنا العربي الذي يمتلك أكبر احتياطي لأهم سلعة في التاريخ البشري الحديث ، ولماذا هو الثاني في الترتيب بعد إفريقيا جنوب الصحراء في تباطؤ النمو.

باختصار يمكننا القول إن جهود مشروع بناء دولة الأمة العربية الحديثة عبر نصف القرن الماضي، أي حقبة الاستقلال، قد أخفقت، وفي أحسن الأحوال تعثرت. أما معايير هذا الفشل أوالتعثر فهي :

أولا : غياب المشاركة السياسية بكل مستلزماتها.

ثانيا : غياب حكم القانون في بعض الأقطار، والانتقائية في تطبيقه في الأقطار الأخرى.

ثالثا : الاستعاضة عن بناء المؤسسات بإقامة الهياكل.

رابعا : الإحجام عن إدخال التفكير النقدي في العملية التربوية.

خامسا: إذا كان مفهوم المواطنة مبثوثا في الدساتير أساساً لتنظيم علاقة السلطة بالمجتمع، فهو غائب في الواقع المعاش.

والمشكلة لم تقتصر على فشل أو تعثر مشروع دولة الأمة العربية الحديثة، بل شملت بطبيعة الحال فشل تحقيق الحلم العربي الكبير، أي الوحدة العربية السياسية. فلا الدولة القطرية استكملت بناءها، ولا الوحدة تحققت. وبين الجهدين الفاشلين راوحت السياسة العربية في مكانها، وجنحت بعض الأنظمة العربية إلى سياسة البحث عن حلفاء من غير العرب حفاظا على نفسها ، بينما استمرأت أنظمة أخرى الحالة، وسعت لتحقيق مكاسب تكتيكية تبين في السنوات الأخيرة أنها عبء حقيقي عليها. ونجم عن ذلك كله أن

أصبحت البلاد العربية مفتوحة للاستباحة والتدخل الأجنبي، مرة باسم التعاون الأمني، وأخرى باسم مكافحة الإرهاب ، كما أصبحت أرضا خصبة لنشوء التطرف بالرغم مما حققته بعض الدول من تقدم مادي على صعيد البنى التحتية.

على هذه الخلفية العامة التي وصفت، شنت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة حربها على العراق التي استغرقت ثلاثة أسابيع فقط، وانتهت بانهيار كامل للدولة ومؤسساتها إلى درجة أن كل ما فعله الحرس الجمهوري، الذي كان يعتبر الأقوى والأقرب والأكثر ولاء لرأس السلطة، أنه ذاب واحتجب. وكذلك لم يترك الجيش وراءه تشكيلاً واحداً متماسكاً يوقع على وثيقة الاستسلام كما تنتهي الحروب عادة. وماذا كان يتوقع غير ذلك في بلد تدابرت فيه السلطة مع الشعب، وبنت سياستها الأمنية والدفاعية على مفهوم أن الأمن الوطني هو فقط أمن السلطة الخاص لكي تحمي السلطة الأبوية نفسها من أبنائها، وتبقى في سدّة الحكم إلى الأبد...؟

ولكن أليست حالة التدابر بين السلطة والشعب هي ذات الحالة في معظم الأقطار العربية ؟ وإذا كان الأمر كذلك، هل يمكن أن نستخلص من الحفرية العراقية أن ما خبره العراقيون في تجربتهم الأخيرة يمكن أن يتكرر في الدول العربية فيما لو تعرضت لنفس التجربة أو لما شابهها؟

لا أدري... ولكن الذي أراه أن الحال العربي في مجمله مازال على ما كان عليه قبل تلك الحرب باستثناء بعض الإشارات الجديدة. فالجماهير أو المقيمون عادوا بعد فترة تشتت الانتباه القصيرة التي تعرضوا لها إلى استئناف انشغالهم باهتماماتهم الخاصة. أما النخب الحاكمة فمنهم من تنفسوا الصعداء معبرين عن ارتياحهم بأن ما حدث لم يطل ليصيبهم بأذى، ومنهم من استولى عليهم القلق خشية تداعيات الحرب. والنخب المثقفة هي الأخرى انقسمت إلى فريقين: الفريق القريب من السلطة الذي واصل عمله في تسويغ سلوك دولته أو مخاوفها، والفريق الثاني الذي اكتاب واستولى عليه القلق، وانشغل في تفسير ما حدث أو التنبؤ بما سيأتي. ويجلس كل هؤلاء، وأعني النخب الحاكمة والمثقفة، في مقاعدهم في مسرح واحد بانتظار إزاحة الستار عن المشهد الثاني ليجمعهم جامعان اثنان هما الفضول والحّس بالعجز، بعد أن تبيّن لهم من المشهد الأول أن اللاعب الرئيسي في الرواية العربية مارد أمريكي جبار يفعل ما يقول. فقد سبق له أن قال إنه سيحتل العراق ويزيح نظامه، وقد فعل. وهو يقول اليوم إنه سيعيد تشكيل العراق وفق مقاييسه ليكون أنموذجا للعرب الآخرين ، فهل سيفعل؟ إن ذلك هو ما يثير الفضول. والحقيقة أنه يثير الفضول والقلق معا ، ليس فقط في قوى الأمر الواقع الحاكمة التي ترفض التغيير ورديفها المسوّغ، بل لدى القوى الإصلاحية أيضا التي تخشى من أمرين :أولهما أن ما تسميه أمريكا إصلاحا قد لا يعدو إقامة نظام عربي تابع سياسياً واقتصادياً وثقافياً وأمنيّاً. وثانيهما: أن يكون الإصلاح شكليا، وحينئذ سيكون الأذى الذي سيلحق بالعرب من وجهة نظر الإصلاحيين مزدوجا. فهو من جهة ليس حقيقيا، فيتلاقى بالتالي مع ما تريده قوى الأمر الواقع العربية ، ومن جهة ثانية تكون قد أجهضت حركة الإصلاح العضوية البطيئة ولكن الثابتة.

إزاء هذا الموقف أرى شخصيا من الناحية النظرية أن أمام النخب الحاكمة ثلاثة خيارات:

أولا: أن تتبنّى النخب الحاكمة المنهج الإصلاحي الذاتي، وتوقف هذه المسخرة القائمة على الشكلانية والتلاعب بعقول الناس من خلال فريق المسوغين، فلا مصلحة لأحد فيها وأولها النخب الحاكمة.

ثانيا: أن تنتظر النخب الحاكمة القدر المحتوم، وتكتفي

بالاستجابة للإملاءات الخارجية نشدانا للسلامة وكسب رضا المرسل، وهو ما يحصل في بعض الأقطار حاليا بشكل مفتعل يوحي بالشكلانية.

ثالثا: أن تصر على المحافظة على الأمر الواقع، وتتحمل نتائج هذا الإصرار.

أما النخب المثقفة فأمامها نظريا خياران:

الأول: أن تندمج مع السلطة الحاكمة، أو تدعمها لدى تبني الأخيرة المنهج الإصلاحي، ولا ضير أن تتلاقى السلطة الحاكمة والإصلاحيون، من جهة، مع الداعين من الخارج للإصلاح، من جهة أخرى، في ميادين متشابهة شريطة أن يكون هذا التلاقي منطلقا للحوار، وليس سببا للإملاءات.

والثاني: أن تنشط في أوساط المجتمع المدني في كل قطر، وتتفاعل مع الجمعيات الأهلية المماثلة في البلدان الديمقراطية، وتواصل نشر ثقافة الإصلاح والتنمية السياسية إذا أحجمت النخبة الحاكمة عن تبني المنهج الإصلاحي الحقيقي.

إن هدف المنهج الإصلاحي كما يمكن استخلاصه من النشطاء في المجتمع المدني ومما يكتبه ويقوله الإصلاحيون يمكن تلخيصه بالجملة التالية، وهي: استئناف المحاولة الجادة لبناء دولة الأمة العربية الحديثة متجنبين أخطاءنا السابقة التي تراكمت عبر نصف قرن مضى، ومحاولين الاستفادة منها في عملية البناء الجديدة.

أما عناصر هذا المنهج فيمكن تلخيصها بما يلي:

أولا: تغيير منطلقات التفكير التي ثبت فشلها، وفي مقدمتها أن الدولة العربية الواحدة وليدة حدث واحد سعيد، أو كما يقال في الإنجليزية "one happy event". إن البديل عن الدولة العربية الواحدة هو الجماعة العربية الواحدة التي تأتي تتويجا لسيرورة تعاون وتكامل بين دول أمة عربية مكتملة النضوج. وفي اعتقادي ان أمام العرب في هذا المجال واحدا من خيارين: إما قتل الحلم العربي بالإصرار على منطلقات تفكير خاطئة، أو حمايته بتغيير تلك المنطلقات على ضوء المتغيرات العالمية والحقائق المحلية، وبخاصة على ضوء هيمنة العولمة.

ثانيا: إطلاق سيرورة إنضاج دولة الأمة، وذلك:

١. بوضع دساتير عربية جديدة، أو تعديل القائم منها بقصد تأكيد:

أ. مفهوم المواطنة أساساً للعلاقة بين السلطة والشعب.

ب. احترام حقوق الإنسان.

ج. تأكيد حرية التعبير والتجمع والتنظيم.

د. تأكيد حكم القانون والمساواة بين كل المواطنين.

هـ. التأكيد على مبدأ تداول السلطة بالطرق السلمية، أي من خلال الاستفتاء وصناديق الاقتراع.

و. ضمان المشاركة السياسية العادلة وفق مبدأ التمثيل النسبي. والتمثيل هنا للمواطنين في مناطقهم وليس للحيّز الجغرافي.

ز. وإذا ما توفر مفهوم أو أكثر، ومبدأ أو أكثر من هذه المفاهيم والمبادئ ومثيلاتها في بعض الدساتير، فلا بد من مراجعة القوانين والأنظمة المتصلة بها لفحص مدى تمشيها أو تناقضها مع هذه المبادئ. فإذا كانت متناقضة معها فيعمل على تعديلها أو إلغائها.

٢. تغيير مفهوم الأمن الوطني القائم على أمن السلطة الحاكمة الخاص فقط ليصبح مفهوما يشمل أمن المجتمع أيضا.

٣. مأسسة الشفافية ومكافحة الفساد.

ثالثا: إدخال التفكير النقدي في مناهج التربية والتعليم، وتشكيل مجلس ثقافي وطني في كل قطر عربي لوضع أسس هذا المنهج ومتابعة تطبيقاته.

رابعا: تشجيع إنشاء مراكز الأبحاث المتخصصة، ووضع المخصصات المالية اللازمة لها من القطاعين العام والخاص.

خامسا: إصلاح جامعة الدول العربية بحيث تصبح أكثر فاعلية وأكثر قدرة على التكيف مع التوجه نحو الإصلاح والمتغيرات الدولية.

سادسا: البناء على النجاح في ميدان التعاون الأمني العربي باتجاه التعاون الاقتصادي والثقافي العربيين.

سابعا: الاستعاضة عن هاجس الوحدة العربية بهاجس التعاون والتكامل العربيين ليصبح الشاخص والمرشد لسائر السياسات العربية المتجهة نحو تشكيل المجموعة العربية الواحدة.

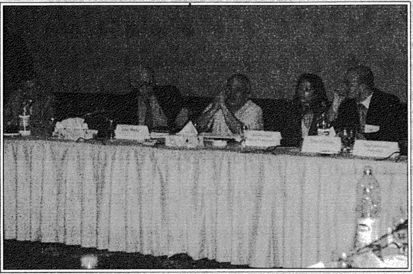
ثامنا: يشارك المجتمع المدني الرسمية العربية في تغذية سيرورة التعاون والتكامل العربيين. فبينما تعمل الرسمية العربية من خلال آليات العمل الثنائية ومؤسسات جامعة الدول العربية، تنسج المنظمات غير الحكومية خيوط التعاون والتكامل الأولية على صعيد الشعوب العربية من خلال اتحاداتها النوعية. ولعل من أهم هذه المنظمات غير الحكومية تلك المهتمة بقضايا حقوق الإنسان بأنواعها المختلفة، والنقابات المهنية، ومراكز الدراسات والأبحاث التي من شأنها تعميم الثقافة الديموقراطية، ونشر مفاهيم الإصلاح من خلال منشوراتها ونشاطاتها في تنظيم المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية.

هذه بعض أفكار أساسية يمكن في رأيي أن تحرك قاطرة الإصلاح. فإذا بدت غير واقعية لكم، فعذري هو خشيتي من إملاءات إصلاح شكلية ستبقينا على حالنا، وتجعلنا أكثر مما سبق نهبا للعابثين والطامعين، فنقتل الحلم باستخفافنا وسكوتنا، وننضم إلى جمهرة المقيمين في كل قطر عربي لنتابع اهتماماتنا الخاصة.

ولنتذكر أن إسرائيل أصبحت لاعبا أساسيا على المسرح السياسي العربي، قبلنا ذلك أم لم نقبل. وأنه لاعب ناشط نامٍ عضويا، ولا يمكن تركه ينمو في وسطنا كما يشاء. وعلى ضوء المعطيات العالمية والإقليمية هنالك منهج واحد لكبحه، وهو الاستيعاب لا المجابهة، واستيعابه لا يمكن أن يتم إلا وفق استراتيجية سلام عربية جمعية لا ثنائية شريطة أن تحقق الدول العربية التحديث والإصلاح اللذين أشرت إليهما.

وختاماً اسمحوا لي أن أكرر فأقول: إن هذه ليست وصفة طبية كاملة متكاملة، بل مجرد أفكار يتداولها الكتاب والإصلاحيون، وكل ما حاولت فعله هو خلق قدر من الترابط والانسجام بينها، والبقية عندكم. ■

مبادرة «شركاء في الإنسانية»



هي مبادرةٌ ومشاركةٌ بيْن سموّ رئيس المنتدى وراعيه وبين مجموعة «البحث عن قاعدة مشتركة»، للعمل على تحسين التّفاهم في العالمَ، وبناء علاقات إيجابية بيْن العالمَ الإسلاميّ والولايات المتحدة الأمريكيّة بروح إنسانية مشتركة [أنظر المنتدى، العدد (٢١٠)، ص ٤٠]. وتضمّ المبادرة شبكةً من المؤسسات الحكوميّة وغير الحكوميّة؛ إضافة إلى منظمات عالميّة معنيّة بتنشيط الحوار وتعزيزه بين العالم الإسلاميّ والغرب.

أُطلقتْ هذه المبادرةُ رسميًا في ملتقىً استضافهُ سموّ الأمير الحسن بعمّان في الفترة ٢٦ – ٢٨ تمّوز/يوليو ٢٠٠٣، وبحث فيه المشاركون أربعة موْضوعات رئيسية هي: مراكز الحوار الدّينيّ والثّقافيّ، ومؤسسات التعليم، ومؤسسات التّنمية العالميّة، والمؤسسات الإعلاميّة ونوافذها المختلفة.

وقد تحدّث سموّه إلى المشاركين باستفاضة في جلسة الافتتاح وفي الجلسة الختاميّة؛ إضافة إلى جلسة خاصّة ماتعة عُقدت في حديقة بيته ليلة ٢٦/٧/٢٠٠٣.

د. عدنان السيد حسين

ألقى د. عدنان السيد حسين، عضو مجلس أمناء المنتدى وأستاذ العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية، محاضرة بعنوان «قمة شرم الشيخ والتفكك العربي» في مركز زايد العالمي للتنسيق والمتابعة/أبو ظبي يوم الثلاثاء الموافق ١٧/٦/٢٠٠٣.

عرض المحاضر ظواهر تفكك النظام الإقليمي العربي، مشيراً إلى وجود خلافات واختلافات حيال قضايا التطبيع والأمن في الشرق الأوسط وسبل مكافحة الإرهاب. واقترح الأولويات الآتية للعمل العربي المشترك في المرحلة الراهنة:

١– احترام الخصوصيات الوطنية للدول العربية، مع الالتزام بالمصالح العربية المشتركة.

٢– إعطاء الأهمية والاعتبار لفكرة الدولة على قاعدة بناء المؤسسات واحترام القانون.

٣– اختصار المسافة البعيدة بين الحاكم والمحكوم بتوسيع دائرة المشاركة السياسية.

٤– مواكبة العصر في صعود التجمعات الإقليمية، وزيادة درجة التفاعلات الدولية.

د. محمّد الرميحي

منحت الحكومة الفرنسية د. محمد الرميحي، عضو المنتدى وأستاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت، وسام الجمهورية للفنون والآداب بدرجة فارس، «تقديراً للخدمات الجليلة والبارزة التي [قدمها] للثقافة وحوار الحضارات».

نهنيء د. الرميحي على هذا التكريم الذي يستحقه بكلّ معنى الكلمة. وحسبه ما قدم للثقافة حين رأس تحرير مجلّة العربي لمدّة ١٨ عاماً، وحين شغل منصب الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

أ. عبد الله بشارة

منحت الحكومة البريطانية الدبلوماسي الكويتي السفير عبد الله بشارة، عضو المنتدى، وسامَ «قائد» في احتفال أقيمَ ليلةَ ٢٠٠٣/٦/٢١ في مقرّ السفارة البريطانيةً بالكويت، تقديراً لدوره البارز في توثيق العلاقات الكويتية البريطانية.

وكان بشارة أوّلَ أمينٍ لمجلس التعاون الخليجي، كما كان سفيراً للكويت لدى الأمم المتحدة. ويرأسُ الآن المركز الخليجي للدراسات السياسية.

نهنيء السفير بشارة على هذا التكريم ونتمنى له المزيد من النجاح والفلاح.

د. مصطفى الفقي

ضمن جوائز الدّولة التقديرية في جمهورية مصرَ العربيّة، فاز د. مصطفى الفقي، عضو المنتدى ورئيس لجنة الشؤون العربيّة بمجلس الشعب المصري، بالجائزة التقديريّة في العلومِ الاجتماعية.

نهنيء د. الفقي ونتمنى له المزيدَ من التوفيق.

جولة العدد

أ. سمير حباشنة و د. نبيل الشّريف

دخل أ. سمير حباشنة ود. نبيل الشّريف، عضوا الهيئة الاستشاريّة لمجلّة المنتدى، التّشكيلة الوزاريّة الأردنيّة الجديدة في ٢١ تمّوز/يوليو ٢٠٠٣: الأول وزيراً للدّاخليّة، والثّاني وزيراً للإعْلام.

نهنّئ الأستاذ سمير والدكتور نبيل، ونتمنّى لهما دوام النّجاحِ والتّوفيق.

د. مصطفى بوطورة

حاز السّفير الجزائريّ مصطفى بوطورة، عضو المنتدى، شهادة دكتوراة دولة في العلوم السياسيّة والعَلاقات الدّوليّة بدرجة «مشرّف جدا». عنوان رسالة الدّكتوراة: «البُعْد الفلسطينيّ في سياسة الجزائر الخارجيّة من خلال عَلاقاتها مَع الدّول العربيّة المجاورة لفلسطين ١٩٦٤ - ١٩٨٨». وتمّت المناقشة في كلّية العلوم السّياسيّة والإعلام/جامعة الجزائر يوم ١٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٣.

نهنّئ د. مصطفى ونتمنّى له دوامَ التّقدمِ والتّوفيق.

د. أحمد يوسف أحمد

القى د. أحمد يوسف أحمد، عضو المنتدى ومدير معهد البحوث والدراسات العربية في جامعة الدّول العربية، محاضرةً بعنوان «النظام العربيّ والمأزق الرّاهن». كان ذلك بتاريخ ٢٠٠٣/٦/١٦ في منتدى عبد الحميد شومان الثقافي/عمّان.

في هذه المحاضرة استعرض د. أحمد الأزمات التي عصفت بالنظام العربيّ وآليات تجاوزها، مركزاً على هزيمتي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وعلى أزمة العلاقات المصرية العربية من ١٩٧٧ - ١٩٨٧ وأزمة غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠.

قدّمَ المحاضرة وأدارها د. علي محافظة، عضو المنتدى وأستاذ التاريخ في الجامعة الأردنية.

جولة العدد

سلسلة اللّقاءات الشهريّة

(٦/٣٠٠٢)

تحدّيات الحاكميّة العالميّة The Challenges of Global Governance باللغة الإنجليزية

المحاضر:

أ.د. رامش ثاكور

Prof. Dr. Ramesh Thakur

نائب رئيس جامعة الأمم المتحدة/طوكيو
ومدير برنامج السلام والحاكمية فيها.

عقد هذا اللقاء يوم الخميس ١٩/٦/٢٠٠٣، بالتعاون مع جامعة الأمم المتحدة/أكاديمية القيادة الدولية/عمّان، وقدّم المحاضرَ مديرة الأكاديمية، السيدة إيف ثومبسون Ms. Eve Thompson.

(٧/٣٠٠٢)

المستجدات السياسية في آسيا الوسطى بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١

المحاضر:

د. غالي عودة

جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا

عقد هذا اللقاء يوم الأربعاء ١٦/٧/٢٠٠٣.

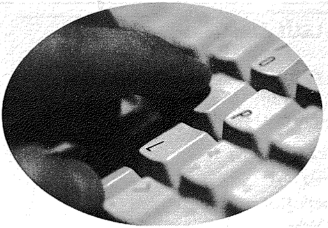
د. خالد الوزني

في محاضرة ألقاها في منتدى عبد الحميد شومان الثّقافيّ يوم الإثنين الموافق ١٤/٧/٢٠٠٣، بعنوان «الاقتصادات العربية وتحديات النظام الاقتصاديّ العالميّ: [خريطة طريق]»، قال د.خالد الوزني، مدير إدارة الاقتصاد والتنمية في الدّيوان الملكيّ الهاشميّ وعضو المنتدى: إنّ منْ يريد أن ينهضَ بدورٍ في النّظام الاقتصاديّ العالميّ الجديد، لا يمكن أن يُصرّ على البقاء كياناً صغيراً، إذا كانت لديْه القدرة على أن يصبح أكبر اقتصادياً.

وقدّم د.خالد الحُجج والأدلة على امتلاك الوطن العربيّ المقوّمات الكافية لإقامة تكتّل اقتصاديّ قويّ إذا توافرت الإرادة السّياسية لذلك؛ إلى جانب الدّور الكبير المنتظر للقطاع الخاصّ العربيّ.

أدار الجلسة والحوار الذي دار بعد المحاضرة: د. علي عتيقة، عضو مجلس الأمناء في المنتدى.

مواقع مهمّة على الإنترنت



(١)

*** مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسيكا)، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي**

المدير العام: أ.د. أكمل الدين إحسان أوغلي

العنوان البريدي: P.O Box 24, 80692 Besiktas, Istanbul - Turkey

العنوان:

قصر يلديز – سير كوشكي – بشكطاش

استانبول – تركيا

هاتف: (+٢١٢) ٢٥٩١٧٤٢

ناسوخ (فاكس): ٢٥٨٤٣٦٥ (+٢١٢)

E-mail: *ircica@superonline. com*

URL: *http://ircica.org*

المكتبة:

أعلن المركز مؤخراً عن إدراج مكتبته على الموقع الآتي:

http://*library.ircica.org*

وبذلك يُصبحُ بالإمكان الاطلاع على مقتنياتها بسهولة.

* ٦٠,٠٠٠ مجلد في التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ومجالات متصلة بها، معظمها من الكتب المرجعية والمصادر والأدلة التي تعنى بالبلدان الإسلامية والببلوغرافيات وكتالوغات المخطوطات الإسلامية.

* ٨,٠٠٠ مادة مكتبية تتضمن المستلات والتقارير والبحوث التي ألقيت في المؤتمرات والندوات، والكتيبات التعريفية والمواد الأخرى التي لم تنشر.

* ٤٠٠ ميكروفيلم وميكروفيش تتضمن أطروحات ورسائل دكتوراة غير منشورة حول الثقافة والحضارة الإسلامية.

* ١٠٠٠ أطلس وخريطة ومخطط.

* ١٥٠٠ دورية، منها ٤٠٠ مجموعة كاملة لمجلات علمية.

المصدر:

النشرة الإخبارية للمركز؛ العدد ٦٠؛ صفر ١٤٢٤ هـ – نيسان/إبريل ٢٠٠٣م.

(٢)

http: *meionline.com*

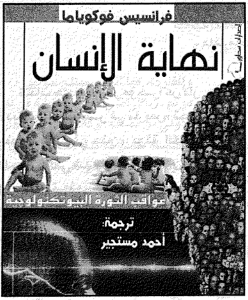
هذا هو مُوقع مجلّة الشّرق الأوسط الدّولية Middle East International. ويشتملُ على موادَّ مختارة من آخر الاعداد ،إضافة الى معلومات وافية عن المجلة التيّ تتحلى بموضوعية ونزاهة مشهود لها .

من أحدث ثمار المطابع: كتاب مهمّ

نهاية الإنسان: عواقب الثورة البيوتكنولوجية

تأليف: فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama
ترجمة: د. أحمد مستجير

المحتويات



هذه ترجمة كاملة لكتاب
Our Posthuman Future: Consequences of the Biotechnology Revolution
الناشر: *Farrar, Straus & Giroux*
نيسان/إبريل ٢٠٠٢
طبعة مجلّة (سطور) الأولى ٢٠٠٢

«المشكلة التي يواجهها البشر ليست «نهاية الإنسان» وإنما هي «نهاية الإنسانية»، التي يمكن للبيوتكنولوجيا أن تُوقفها أو تحدّ منها. إنّ ثلاثة بلايين من البشر يعيشون دون صرف صحي، وبليوناً ونصف البليون لا تصلهم المياه النظيفة، وبليوناً وربع البليون لا يجدون السكن الذي يليق بالآدمي. كما أن نصف بليون لا يتوافر له الحدالأدنى من الغذاء اليومي، وثلاثين أو أربعين ألف طفل يموتون يومياً بسبب سوء التغذية والأمراض. هكذا تقول تقارير الأمم المتحدة. أيّ إنسان هذا الذي يجادل فوكوياما كي يحفظ كرامته البشرية؟ هل يتمتع هؤلاء جميعاً بـ «الكرامة البشرية» و «حقوق الإنسان»؟ هل طبيعتهم هي حقاً «الطبيعة البشرية» التي يخشى عليها فوكوياما من الهندسة الوراثية؟ أليست الهندسة الوراثية في الزراعة والصناعة الصيدلية هي الأمل الكبير في تحسين أوضاع هؤلاء جميعاً وجعلهم بشراً نخاف على بشريتهم ونخاف على «نهاية الإنسان» فيهم؟ أما يستحقون – كما يقول بيتر كونراد – أن يتذكرهم فوكوياما في كتابه هذا ولو بفقْرة؟ أم تراهم عنده يمثّلون إنسان «نياندرتال» المعاصر أمام إنسان الغرب المتقدّم صاحب العلم والتكنولوجيا؟ أم أنّ قضيته الحقيقية هي الخوف على «إنسان الغرب»، هذا «الإنسان الأفضل»، من أن يخلفه إنسان آخر أذكى؟ ثم أتراه، وهو الذكي، يصدق هذا حقاً؟

لكنّ الكتاب ممتع، ويثير الكثير من القضايا الجوهرية التي تستحق أن يقرأها كل مثقف. وهو بلا شك وجبة علمية وفكرية دسمة للقارىء العام. وقد تمتّعت أنا شخصياً بقراءته، وتمتّعت بترجمته، وعرفت منه الكثير في مجالات خارج تخصّصي.»

[عن مقدّمة المترجم، د. أحمد مستجير، بتصرُّفٍ طفيف].

جولة العدد

إبريل في جنين وشهادات عن المجزرة

إعداد وعرض: مركز جنين للدراسات الاستراتيجية
ملف محدود التداول؛ أيار/مايو ٢٠٠٣

كتاب جديد صدر مؤخرا عن دار لاديكفروت للنشر في باريس، تحت عنوان «إبريل في جنين». يوثق الكتاب المجزرة التي شهدها مخيم جنين في إبريل الماضي بعد حصار دام حوالي أسبوعين، شهد المخيم خلالهما لحظات مروعة، وعاش أبناؤه مجزرة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني تنضم لسلسلة مآسي دير ياسين وقبية وكفر قاسم.



يعتمد الكتاب على شهادات السكان المدنيين وبعض المقاتلين الفلسطينيين الذين شاركوا في الدفاع عن المخيم، إضافة إلى شهادات مجموعة من الفرنسيين والبريطانيين الذين كانوا في المخيم، وشهدوا الإجرام الإسرائيلي على حقيقته. لكنه لا يقتصر على جمع الشهادات الحية عن مجزرة جنين وتنسيقها وتحريرها من قبل الباحثة اللبنانية نهلا الشهال والصحفية السورية هالة قضماني، بل يشمل صوراً متكاملة توضح مدى الدمار الذي خلفته آلة الحرب العسكرية الإسرائيلية.

ومن أبرز الشهادات التي يحتويها الكتاب شهادة الجندي الإسرائيلي موشيه نيسيم الذي صرّح لصحيفة يديعوت أحرنوت برغبته في تحويل المخيم إلى ملعب لكرة القدم من خلال تسوية جميع منازله بالارض. فقد أشار بفخر المحتل إلى أنه عمل مدة اثنتين وسبعين ساعة دون توقف على تدمير المنازل وزجاجة الويسكي في يده. وقال بحسرة حاقدة(أنا آسف لأنني لم أدمر كل شيء).

كما يشمل الكتاب شهادات ممرضي مستوصف المخيم والأطباء في المستشفيات المجاورة، وخاصة شهادة الطبيبة النفسية سيلفي منصور التي انتدبتها القنصلية الفرنسية في القدس لدراسة الحاجات النفسية للمخيم، والتي قالت (لدينا إحساس فعلي بأننا أمام هزة أرضية. لكن ما حصل لم يكن بفعل قوانين الطبيعة، وإنما بفعل إرادة بشرية أرادت فرض أكبر قدر ممكن من الدمار والموت، كما أرادت القضاء على أية رغبة لدى سكان المخيم بالصمود في وجه الاحتلال الإسرائيلي).

يعد الكتاب توثيقاً حقيقياً بالكلمة والصورة لمجزرة مخيم جنين التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق المخيم والشعب الفلسطيني.

هذا الملف ليس ترجمة حرفية للكتابة، وإنما عملية تحرير موسعة، إضافة إلى شهادات ومعلومات من مصادر منشورة.

جدار "الفصل" العنصري الأحادي الجانب

إعداد وعرض: مركز جنين للدراسات الاستراتيجية
ملف محدود التداول؛ حزيران/يونيو ٢٠٠٣

هذه الدراسة أعدها البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وحكومتا النرويج والولايات المتحدة الأمريكية، وعضوية المجلس الأوروبي والاتحاد الأوروبي من خلال لجنة تنسيق المساعدات المحلية، وبإشراف مجموعة المراقبة التابعة لمجموعة السياسات الإغاثية والإنسانية. وتأتي انطلاقاً من قلق المجموعة الدولية جراء مشروع بدأت الحكومة الإسرائيلية في تنفيذه، وهو عبارة عن حاجز فصل (جدار) يضم سلسلة من الجدران والحواجز والخنادق والسياجات داخل الحدود الغربية للضفة الغربية المحتلة. والقلق ناجم عن التأثيرات المحتملة على حياة الفلسطينيين والاقتصاديات المحلية، إضافة إلى التأثير على المساعدات الإنسانية ومشروعات التنمية التي أقامتها الدول المانحة.

وتخطط إسرائيل لإنشاء الجدار على مرحلتين: تمر الأولى عبر الحدود الشمالية الغربية لمحافظات جنين وطولكرم وقلقيلية وسلفيت، بينما تمتد الثانية بطول خمسة وأربعين كيلومتراً إلى الشرق من حاجز سالم في محافظة جنين. وعملياً فإنه لم يتم حتى شهر نيسان/إبريل الماضي سوى بناء جزء صغير من هذا الجدار، وهو عبارة عن ٤,٥ كيلومتر من سياج مكهرب في الجزء الشمالي الذي يمر إلى الجنوب من كفر سالم، وأكثر من أربعة كيلومترات إلى الغرب من قلقيلية وإلى الشمال الغربي من طولكرم، وحوالي ثلاثة كيلومترات بالقرب من القدس. لكن هناك مخططات إسرائيلية كبيرة ومعقدة لمستقبل هذا الجدار. والأهم من ذلك أن هذا الجدار سيعزل بعض التجمعات الفلسطينية عن بعضها البعض، وعن بقية مناطق الضفة الغربية أيضاً، مما سيؤدي إلى عزل هذه المناطق وتمزيقها وإفقارها، كما أنه سيبتلع حوالي ١١,٥٠٠ دونم من الأراضي الفلسطينية في المرحلة الأولى من بنائه. وتأثيرات الجدار على الحياة المعيشية للفلسطينيين الذين يسكنون هذه المناطق هي التي أثارت قلق المجموعة الدولية، ودفعتها لإجراء هذه الدراسة المهمة التي تتقصى النتائج في المجالات الاقتصادية والاجتماعية على أرض الواقع من خلال بيانات وإحصاءات، إذ أن من شأن هذا الجدار أن يؤثر على الزراعة وشبكات المياه والخدمات الاجتماعية الأساسية والتبادل التجاري، كما سيؤدي إلى رفع تكاليف عمليات نقل البضائع، ووقف النشاط الاستثماري. وتدعي حكومة إسرائيل بأن بناء الجدار هو إجراء مؤقت، ولا يتناقض مع الاتفاق المرحلي لعام ١٩٩٥ الذي ينص على (عدم تغيير وضع الضفة وقطاع غزة بانتظار نتائج مفاوضات الوضع النهائي)، إلا أن امتداد الجدار وتكلفته، وبشكل خاص موقعه داخل الضفة الغربية وإلى الشرق من الخط الأخضر، يجعل كثيرين على اقتناع بأنه إجراء دائم.

> جدار "الفصل" العنصري
> الأحادي الجانب
> دراسة: البنك الدولي والمؤسسات الأوروبية في فلسطين
> إعداد: مركز جنين للدراسات الإستراتيجية

وتوصي الدراسة بأن تقوم الدول المانحة بمراقبة الوضع بانتظام لمعرفة الآثار الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على إقامة الجدار، وبمساعدة المجتمعات الفلسطينية المتضررة. ومع أن آلية مراقبة الوضع لم يجر الاتفاق عليها بعد، إلا أن العوامل الواجب ملاحظتها هي: العمق الحقيقي للجدار، وحرية العبور من خلال منافذ الوصول إلى الأراضي الزراعية، ومرافق الخدمات العامة، ونسبة نجاح قضايا الاستئناف بالنسبة للأراضي المصادرة، ومدى الضرر الذي يلحقه الجدار باستثمارات الدول المانحة.

قُبيْل الطباعة (١)

الديمقراطية طوق نجاة *

د. علي خليفة الكواري **

هنالك دواع وهنالك دلالات جعلت مشروع دراسات الديمقراطية في البلاد العربية يقوم بجهود البحث عن مداخل انتقال إلى الديمقراطية في الدول العربية. أما الدواعي فهي ما وصلت إليه الشعوب العربية من ضيق بحالة الاستبداد السافر ونظم حكم الغلبة والتسلط التي تغطي المنطقة العربية دون استثناء. فالدول العربية قد تختلف نسبياً من حيث حرية القول، أما من حيث الممارسة الديمقراطية فإنها مع الأسف غائبة على أرض الواقع في جميع الدول؛ الأمر الذي أدى إلى تخلف التنمية وتآكل الإرادة الوطنية وانكشاف الأمن القومي، إلى جانب تمزق النسيج الوطني فضلاً عن الفساد والمحسوبية وهدر المال العام وتبديد الأملاك والثروات العامة.

وأما دلالات البحث عن مداخل انتقال إلى الديمقراطية في الدول والمجتمعات العربية على حد سواء، فإنها تتمثل في تزايد الوعي العربي بأن الديمقراطية اليوم هي طوق نجاة من المآزق الكثيرة التي وضع العرب - حكومات وجماعات أهلية - أنفسهم فيها، وأصبحوا بالتالي غير قادرين على الفعل وعاجزين عن إدارة أوجه الصراعات الداخلية المدمرة سلمياً، على مستوى العلاقة فيما بين القوى التي تنشد التغيير ومستوى العلاقات بين المعارضة والحكومات.

فالديمقراطية من ناحية أثبتت اليوم قدرتها النسبية على إدارة أوجه الاختلاف وتعارض المصالح في إطار الجماعة الواحدة على مستوى الدولة وفي المنظمات غير الحكومية، وسمحت بالاستقرار السياسي ونمو الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني. كما رشدت من خلال الحوار الوطني المتاني والشفافية النسبية، فضلاً عن التاكيد على اتخاذ القرارات العامة من قبل الملزمين بها، عملية اتخاذ القرارات العامة وحل مشكلات التطور أول باول ومواجهة المتغيرات المتسارعة، هذا بعد أن نجحت في تحقيق مصالحات تاريخية ومهدت لتحقيق اندماج وطني على قاعدة الديمقراطية في البلاد التي اتخذت من الديمقراطية نظام حكم ومنهجاً رسمياً وأهلياً لإدارة الشؤون العامة. ومن ناحية ثانية، أصبحت نظم الحكم الديمقراطية اليوم، كفيلة باكتساب احترام البشر قبل مهابة الدول وردعت أعداءها من التدخل القصري في شؤونها بذريعة حق يراد به باطل. ولعل تجربة نيكاراغوا وعدد من دول أمريكا اللاتينية حديثاً، وماليزيا بعد الحرب العالمية الثانية، جديرة بالدراسة في قدرة الديمقراطية بان تكون طوق نجاة.

وإدراكاً لهذه الدواعي والدلالات طرح مشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية ضمن سلسلة الحوارات التي يجريها، قضية أهمية وإمكانية الانتقال إلى الديمقراطية في البلاد العربية للمناقشة في لقائه السنوي الثاني عشر الذي عقد في كلية سانت كاثرنس بجامعة أكسفورد في الحادي والثلاثين من شهر آب/أغسطس ٢٠٠٢.

وفي الكلمة التي تشرفت بإلقائها في افتتاح اللقاء أوضحت أسباب اختيار الموضوع قائلاً: "من المفارقات التي تسترعي الانتباه أن يجتمع الباحثون والمفكرون العرب لمناقشة مداخل الانتقال إلى الديمقراطية في الدول العربية في الوقت الذي يستمر فيه العدوان الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية وتقرع طبول

---

* مقدّمة كتاب مداخل الانتقال إلى الديمقراطية في البلاد العربية الذي سيصدر هذا الشهر (تمّوز/يوليو) عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت (بتصرّف قليل).

** قسم علم الاقتصاد؛ جامعة قطر.

الحرب على العراق، ويتصاعد التهديد بالعدوان على الدول العربية عامة وتلوح في الأفق مخاطر سايكس - بيكو جديدة لمزيد من التفتيت للدول والتفكيك للمجتمعات العربية على أسس طائفية ودينية وإثنية هذه المرة. ولكن هذا اللقاء بالرغم من ذلك يأتي في وقته لمناسب، فكل وقت للمطالبة بضرورة الانتقال إلى الديمقراطية هو وقت مناسب، إلى أن يتم تفكيك الاستبداد في الحياة السياسية العربية. بل إن الديمقراطية اليوم هي طوق النجاة الذي سوف تتأكد الوحدة الوطنية من خلال ممارستها ويمتلك الناس حق التأثير على عملية اتخاذ القرار الوطني ويقفون وراءه من أجل تحقيق الأمن وإنجاز التنمية. فالدول العربية الحديثة التي قادها الاستبداد بالقرار إلى ما هي فيه اليوم من عجز وتخلّف وهوان لن تخرجَ من وضعها الحالي ولن يتوافر للعرب احترام العالم إلا حين تصبح للشعوب مشاركة حقيقة على أرض الواقع في اتخاذ القرارات المؤثرة على حاضرها ومستقبلها، وتكون بالتالي مستعدة للدفاع عنها بوعي وإدراك ومسؤوليّة. من هنا فإن بحثنا عن مداخل الانتقال إلى الديمقراطية وتحرينا للسبل المؤدية إلى ذلك هو بحث وتحرٍ للخروج من الاستبداد الذي يشل قدرة الإنسان العربي ويمتهن كرامته، والذي يطبع الحياة السياسية العربية عامة بدرجات مختلفة ويضعف بالتالي مناعة المجتمعات العربية لمواجهة العدوان ومخططات التفتيت والتفكيك واستمرار التخلف والعجز، الذي يقع من الاستراتيجية الصهيونية ومخططات الهيمنة موضع المركز. لذلك يأتي لقاؤنا هذا في سياق سعي «مشروع دراسات الديمقراطية" » إلى تعزيز المساعي الديمقراطية في البلاد العربية وتفكيك الاستبداد لما فيه مصلحة ونماء البلاد العربية، ورفعة كرامة شعوبها وحكوماتها.

****

وإذا كانت الديمقراطية طوق نجاة فما هو حظ تجاربنا في الانتقال إلى الديمقراطية وأشباهها والانفتاح السياسي المؤدي إلى تسهيل الانتقال إليها؟ وما سبل الانتقال ومداخله باعتبار الانتقال إلى الديمقراطية حالة يسبقها انفتاح سياسي وتوافق وطني يتجسد في تعاقد مجتمعي متجدد يأخذ شكل دستور ديمقراطي، ويلي ذلك الانتقال من حكم الفرد أو القلة إلى حكم الكثرة بداية عملية تحول ديمقراطي شاقة ومستمرة ترتقي بالممارسة الديمقراطية تدريجياً بعد أن تم وضع أساس سليم لها.

هذه التساؤلات شكلت مضمون كتاب مداخل الانتقال إلى الديمقراطية في البلاد العربية، الذي كان ثمرة حوار عن قرب بين المشاركين في اللقاء وحوار عن بعد بفضل مشاركة عدد من المعنيين بالتحول الديمقراطي ممن تعذر حضورهم اللقاء، ببحوث وتعقيبات ومداخلات. وإلى هذا الكتاب الذي سوف يصدر هذا الشهر (تموز/يوليو٢٠٠٣) عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، أحيل القارئ الذي سوف يجد في الأوراق والتعقيبات والمداخلات التي تضمنها الكتاب محاولات للإجابة ومعاناة في البحث عن كيفية الانتقال. ومحاولات الإجابة هذه تضاف إلى محاولات عديدة جادة على الساحة العربية وفي العالم وتنضم إلى معانات البحث عن مداخل مشتركة وسبل مجربة في حالات الانتقال إلى الديمقراطية في الدول الديكتاتورية السابقة في أوروبا الغربية وفي أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية وفي آسيا وإفريقيا.

وعلى القوى التي تنشد التغيير كما على النخب الحاكمة المتنورة حيث وجدت في الوطن العربي أن تواصل البحث عن كيفية الانتقال إلى الديمقراطية. وربما يحتاج الأمر إلى وقفة عند مضمون الديمقراطية حتى لا تصبح الديمقراطية شعاراً أجوفَ يستغلّه كل من أراد أن يواصل حكم الغلبة والاستبداد تحت مسمّيات أخرى.

وفي هذا الصدد يبرز مضمون الديمقراطية، إلى جانب سبل الانتقال إلى نظم حكم ديمقراطية، من بين الأولويات التي يجب التوافق حولها وتجسيدها في مشروع دستور ديمقراطي. وأبدأ بالقول إن الديمقراطية نظام حكم محدد المعالم له مبادئ ومؤسسات وآليات لا تقوم لنظام الحكم الديمقراطي قائمة إذا لم يستقر وجود الحد الأدنى منها في الممارسة الديمقراطية. وحتى يتاح ذلك فإن نظام الحكم الديمقراطي لا بد له أن يؤسس على تعاقد مجتمعي متجدد يعبر أيضاً عن ثوابت المجتمعات والمصالح والخيارات المتغيرة للأفراد والجماعات حتى يستمر نظام الحكم الديمقراطي قائماً ومعبراً عن قبول حقيقي منضبط ينتقل فيه الحكم من تيار إلى آخر ويتم تداول السلطة وفق ضمانات تحول دون حدوث انقلابات على الديمقراطية بعد الوصول إلى الحكم بفضلها؛ الأمر الذي ينذر بتحول الديمقراطية إلى مجرد وسيلة للوصول إلى الحكم أو طريقة للاحتفاظ به دون وجه حق وبصرف النظر عن ضوابط الديمقراطية.

قُبَيْل الطباعة (٢)

بين عمارة وأدونيس:
"لن نتحرّر من المذهبيّة بمذهبيّة أخرى"

د. محمّد جابر الأنصاري *

نُقدم فيما يأتي مُقتطفاً من هذه المقالة المهمّة التي نُشرت في جريدة الدّستور الأردنيّة بتاريخ ١٥ تمّوز/يوليو ٢٠٠٣:

ما كتبه الدكتور محمد عمارة في جريدة الأخبار المصرية بتاريخ ٤ تموز/ يوليو ٢٠٠٣ منوّها بالإجراءات المذهبية القاسية التي اتخذها السلطان صلاح الدين ضد المذاهب الإسلاميّة الأخرى المعارضة لمذهبه استعداداً للمعركة ضد الصليبيين «واسترجاع القدس» حسب تعبير د. عمارة، في النص الذي استشهد به أودنيس مستنكراً (الحياة: ١٠ تموز/يوليو ٢٠٠٣، في بابه «مدارات»)، نقول: ما كتب الدكتور عمارة لا يتماشى بالقطع مع حركة التاريخ والتقدم التي يحاول المسلمون في مختلف أوطانهم اللحاق بها ومواجهة تحدياتها، من منطلق مفهوم «المواطنة» في الدولة الحديثة والمجتمع المدني هذا المفهوم الذي إن أخفقت المجتمعات العربية والإسلامية في إقراره نهائياً والعمل على ترسيخه بالممارسة الصادقة، فلن تستطيع تحقيق انصهارها الوطني وتعزيز وحدتها الوطنية، وستبقى طوائفَ وقبائلَ ومذاهبَ لا يجمعها جامع في معركة البقاء في هذا العصر القائم على منطق التكتلات الكبرى. وإذا استبعدنا بعض المسلمين لأسباب مذهبية، فماذا عن مواطنينا من الديانات الأخرى؟!

إنّ طرح أفكار تؤدّي إلى إعادة إنتاج «الفتنة الكبرى» وصراعاتها يمثل عودة إلى الوراء، كما لا تتفق أصلاً مع روح التعايش السمح في الإسلام الذي عمل نبيّه الكريم وآله وصحابته على نشرها بوسائل الإقناع المتحضر وعلى

---

* مستشار ملك البحرين؛ عضو المنتدى.

جولة العدد

قاعدة: «لا إكراهَ في الدين»، ومبدأ التمييز بين المجتمع الديني والمجتمع السياسي كما تجلى في صحيفة المدينة، أوّل دستور في الإسلام.

وعلينا ألاّ نتظاهرَ أنّ مسألة التعايش السياسي والفكري والاجتماعي التي تواجه المسلمين في هذا العصر مسألة سهلة؛ إذ لا يمكن تجاوزها بمجرد الدعوات الصالحات والتبشير والنوايا الطيبة، وإنما في ظل مشروع وطني إصلاحي واقعي قابل للتطبيق في كل وطن من أوطانهم مرحلة بعد أخرى. أما التصور أن المشروع المذهبي لصلاح الدين، أو بالمقابل المشروع المذهبي لإسماعيل الصفوي، أو غيرهما من سلاطين المسلمين في ظل أوضاع تاريخية داخلية وخارجية مختلفة تماماً عن أوضاعنا سوف تنقذنا، فتصوّر واهم في غير محله.

كُتّاب هذا العدد (٢١١)

أ. حسن علي الأنباري

مستشار الشؤون الدولية/المعهد الدبلوماسي

عمّان

هاتف:٥٩٣٤٤٠٠ - ٩٦٢٦+ ناسوخ (فاكس):٥٩٣٤٤٠٨ - ٩٦٢٦ +

E-mail: *anbari@id.gov.jo*

د. رياض الأسدي

مركز دراسات الخليج العربي

جامعة البصرة

البصرة - العراق

أ. عدنان أبو عودة

كُاتب ومحلّل سياسي

عمّان

هاتف: ٥٣٤١٣٢٠ - ٩٦٢٦+ ناسوخ (فاكس):٥٣٤٣١٠٤ - ٩٦٢٦+

أ. ممدوح أبو دلهوم

كاتب صحافي/ جريدة الرأي

عمّان

تلفاكس:٥٠٥٦٢٣٤ - ٩٦٢٦+

د. مصطفى المصمودي

رئيس الجمعية التونسية للإتصال ومدير مركز مسماديا

تونس

هاتف: ٧٩٤٩٤٨ - ٢١٦٧١ + ناسوخ (فاكس):٧٩٤٩٤٩ - ٢١٦٧١+

E-mail:*atucom@planet.tn*

أ. نزيه قسوس

كاتب صحافي/جريدة الدستور

ص.ب ٢١٢٤ عمّان الرمز البريدي ١١٩٥٣

تلفاكس: ٥٦٦٣٨٩٠ - ٩٦٢٦ +

جولة العدد

من مكتبة المنتدى

تحـولات البيئـة التشريعية الدولية

بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١

الناشر: مركز دراسات الشرق الأوسط - الأردن



المحتويات:

التقديم؛ مقدمة؛ الإرهاب والتشريعات؛ مجموعة القوانين والتشريعات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي؛ المقاومة والإرهاب؛ إجراءات أمريكية؛ وثائق واتهامات جديدة؛ الإجراءات الدولية؛ التداعيات الناشئة عن الحدث والتشريعات اللاحقة له.

نتائج الانتخابات الإسرائيلية ٢٠٠٣

الخريطة السياسية والانعكاسات المستقبلية

الناشر: مركز دراسات الشرق الأوسط - الأردن



تكتسب الانتخابات الإسرائيلية العامة هذا العام أهمية خاصة، بالنسبة للمهتمين والمراقبين، وكذلك على خلفية التطورات السياسية والتأثيرات المرتبطة بها إقليمياً ودولياً. وهو ما يستدعي متابعة تفصيلية للترتيبات الجديدة بناء على هذه الانتخابات، بهدف التعرف على الواقع القائم ومنحى التحولات الجارية، والتعرف على الأصول النظرية المتعلقة بانتخابات الكنيست، والتركيز على خريطة الأحزاب المشاركة في الدورة الانتخابية السادسة عشرة، وبرامجها العامة وحملاتها، والأجواء الداخلية التي تجري فيها، وكذلك إجراء تحليل متكامل لانعكاسات نتائج الانتخابات المستقبلية على أهم متغيرات الشان الإسرائيلي والإقليمي والدولي.

المحتويات:

مقدمة؛ النظام السياسي والأحزاب في إسرائيل؛ بيانات إجمالية لدورات الكنيست؛ صورة الأحزاب الإسرائيلية الراهنة؛ المنطلقات والأهداف العامة للأحزاب؛ الخطوط العريضة لبرامج الأحزاب الإسرائيلية؛ التحضيرات الحزبية وتفاعلاتها؛ مستجدات مشاركة العرب في الانتخابات؛ الدعايات الانتخابية الحالية؛ الظروف الداخلية المحيطة بالانتخابات؛ المعطيات العامة لنتائج الانتخابات؛ تكوين الكنيست؛ ملامح الواقع الحزبي السياسي الجديد؛ ملخص التقرير باللغة الإنجليزية.

نحن والديمقراطيّة

أ. نزيه القسوس*

ما زالت معظم الدول العربيّة تعاني من الحكم الديكتاتوريّ المتسلط، وما زال بعض الحكّام العرب يفرضون أنفسهم على شعوبهم رغماً عن هذه الشعوب. وحتّى الذين يدّعون بأنّهم جاءوا إلى الحكم عن طريق صناديق الاقتراع، فإنّهم لم يتسلّموا كراسي الحكم هذه إلا بطرق غير مشروعة بالمفهوم الديمقراطيّ للحكم. فبعد أنْ سيطروا على شعوبهم، قاموا بترشيح أنفسهم، وأجروا انتخابات صوريّة، ونجحوا في هذه الانتخابات بنسبة مئويه غير مألوفه دون أن يكون لهم منافسون في هذه الانتخابات.

والسؤال الكبير المطروح هو: هل يرفض العرب الديمقراطية؟ أم أنّ هذه الديمقراطية يجب أن تتعامل مع شكل معيّن من الحكم؟ بمعنى آخر: هل نجاح الديمقراطية يعتمد على شكل الحكم (ملكيّاً كان أو جمهورياً) ؟

لو أخذنا بعض الأمثلة الموجودة في العالم لإثبات أنّ أحد أشكال الحكم هذه له أهمية في مسألة الديمقراطية، لوجدنا أن أفضل ديمقراطيّتيْن في العالم هما في بريطانيا والسويد؛ وشكل الحكم في هاتيْن الدولتيْن ملكيّ وراثيّ. كما أن ديمقراطيّتيْن فضليين أخريين هما في الولايات المتحدة والنمسا؛ وشكل الحكم في هاتيْن الدولتيْن جمهوريّ.

إنّ معظم الحركات الحزبيّة في الوطن العربي، بصرف النظر عن اتجاهاتها الفكريّة أو الدينيّة، إما إنها ترفض الديمقراطيّة، أو أنّ القائمين عليها يحوّلونها إلى حركات ديكتاتوريّة، خصوصاً إذا تسلّمت الحكم.

بعض المفكّرين والمتنوّرين يعتقدون اعتقاداً جازماً أنّ الغرب يشجّع على قيام بعض الأشخاص الأقوياء بتسلُّم الحكم في بعض الدول العربيّة التي للغرب فيها مصالح جوْهريّة لأنّ أيّ حكم ديمقراطيّ في هذه الدول يؤثّر تأثيراً مباشراً على هذه المصالح؛ إذ إن الحكم الديمقراطيّ هو حكم الشعب، والشعب يرفض دائماً أنْ تسيطرَ على مقدّراته وخيْراته جهات أجنبية مهما كانت الأسباب والمبرّرات. لذلك، فإنّنا نجد الغرب ومنظّمات حقوق الإنسان هناك لا تتحدّث على الإطلاق عن انتهاكات حقوق الإنسان في بعض الدول العربيّة، لأنّ للدول الغربيّة هذه مصالحَ استراتيجيّةً مهمّة في هذه الدول.

والديمقراطيّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحرّية. فحينما توجد الديمقراطية توجد الحرية، لأنه حين يكون الحكم ديمقراطيّاً فإنه يسمح للأفراد بأنْ يعبّروا عن آرائهم، وأن يشكّلوا الأحزاب والجمعيّات السياسيّة، وأن يُصدروا الصحف والنشرات التي تعبّر عن آرائهم، ويكون للرأي الآخر مكانة أساسية.

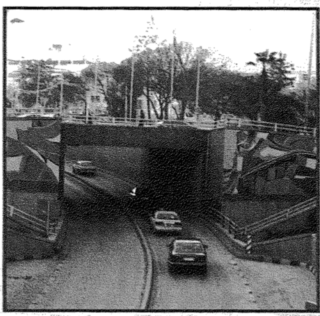
وفي وطننا العربيّ، لم يذكر لنا التاريخ الحديث أنّ أيّ دولة عربيّة قد مُورس فيها نوع من الحكم الديمقراطي بالمفهوم الأوروبي ؛ بل يكاد يكون مفهوم الديمقراطيّة مفهوماً جديداً عندنا. وما زال بعض المفكّرين الذين يعدّون أنفسهم مثقّفين ومتنوّرين لا يؤمنون بالدّيمقراطية.

ما نتمنّاه في وطننا العربي هو أن نقبل بالرأي الآخر حتّى لو كان هذا الرأي مخالفاً لمعتقداتنا ولما نؤمن به. عند ذلك، سنكون قد بدأنا السير بالفعل على طريق الديمقراطيّة. ورحم الله الفيلسوف الفرنسيّ الكبير فولتير الذي قال عبارته المشهورة: « أنا لا أوافقك على ما تقول؛ ولكنّني مستعدٌ أنْ أناضلَ حتّى الموت في سبيل أنْ تقولَ ما تعتقد به».

* كاتب صحافيّ/ جريدة الدّستور الأردنيّة.

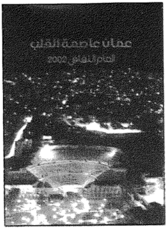
إصدار جديد جميل
لأمانة عمّان الكبرى

عمّان عاصمة القلب
العام الثقافيّ ٢٠٠٢





المحتويات



الجزء الأول

الجزء الثاني

هذا الكتاب أصدرته مؤخراً أمانةُ عمّان الكبرى في طبعة أنيقة فخمة باللغتين العربيّة والإنجليزية. وجاء الكتاب للتعريف بعمّان المدينة التاريخية الممتدة منذ شروق التاريخ، وعمان الحديثة التي تنبض بالحداثة والتقدم، وبالمراحل المتعدّدة التي قطعتها لتصل إلى مرتبة متقدّمة بين العواصم الحديثة في العالم، ولإلقاء الضوء على الأنشطة التي حققتها الأمانة في «عام الثقافة ٢٠٠٢»، والبنى التحتية التي وفرتها للإبداع والمبدعين؛ إضافة إلى عرض بعض إنجازات الأردن في مجال دعم الثقافة والمثقفين.

وفي معرض تقديمه للكتاب ، يؤكد المهندس نضال الحديد، أمين عمّان الكبرى،أنّ الأمانة «سعت إلى تجاوز الدور التقليدي للمدينة، وتأدية دور حضاري يحقق للمدينة وأبنائها ثراء في الذوق، ورهافة في الوجدان، وعمقاً في التفاعل مع المكان

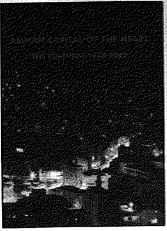
Amman Capital of the Heart
The Cultural Year 2002







Table of Contents



والزمان، من خلال تشجيع الإبداع، وجعل الثقافة ركيزة أولى قوية لروح الكائن وروح مكانه». ويضيف أن الأمانة «عملت على المواءمة الحية بين المتطلبات المادية والخدماتية والمتطلبات الروحية والثقافية للعمّانيّين، ولم تألُ جهدا في تاسيس البنية التحتية القادرة على حمل الفعل الثقافي، وتوفير الدعم الكافي له، وتغذية حلم الثقافة الوطنية».

ويستعرض الكتاب في جُزْءه الأول المشروعات التي نفّذتها الأمانة تحقيقا لتطلعاتها في الارتقاء بالعمل الثقافي، وتكريسه ركيزة أساسية في الحياة العامة للعمّانيّين.

ثمّ يعرض الكتاب في جُزْءه الثاني والأخير مختارات متنوّعة لمثقّفين عرب وأردنيين يسجّلون فيها انطباعاتهم عن عمّان، ترافقها صورٌ ماخوذة بكاميرا حسّاسة لجماليّات المكان.

قسيمة اشتراك

في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في :

☐ مجلة المنتدى

☐ مجلة المنتدى + إصدارات عام ٢٠٠٣ (الكتب)

الاسم : ....

العنوان : ....

....

....

قيمة الاشتراك* : .... طريقة الدفع : ☐ نقداً ....

بطاقة فيزا رقم : .... تاريخ انتهاء مدتها: ....

حوالة بنكية (صافي القيمة) : ....

رقم الحساب : 0118/001769-8/610 (البنك العربي ، فرع الشميساني: عمّان، الأردن)

التوقيع : ....

التاريخ : ....

تملأ هذه القسيمةُ وتُرسلُ مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي:

منتدى الفكر العربي: ص.ب: (٩٢٥٤١٨)

عمّان ١١١٩٠ : الأردنّ

		المجلـة	المجلة + الكتب
*قيمة الاشتراك السنوي	داخل الأردن	للأفراد : (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً للمؤسسات: (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً	للأفراد : (٥٠) خمسون ديناراً أردنياً للمؤسسات: (١٠٠) مئة دينار اردني
	خارج الأردن	للأفراد : (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات: (١٠٠) مئة دولار أمريكي	للأفراد : (١٥٠) مئة وخمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات: (٣٠٠) ثلاثمئة دولار أمريكي

المنتدى

مجلة فكرية ثقافية يُصدرها مرّة كل شهرين
منتدى الفكر العربيّ
عمّان – الأردن

Al Muntada

A Bimonthly Cultural Magazine
Published by the Arab Thought Forum (ATF)
Amman — Jordan

إرشادات عامّة لكُتّاب المجلّة

- يُشترط أن لا يزيدَ طول المادة المقدمة للنشر على عشر صفحات من القطع الكبير، وأنْ تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).
- يُرجى موافاتنا بالقرص (الديسك) أو إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.
- يُشترط أن تكونَ المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر إلى أيّة جهةٍ أخرى.
- يُرجى من الكُتّاب ذكر عناوينهم، بما في ذلك رقمُ الهاتف والبريد الإلكتروني (E-mail) والناسوخ (الفاكس).
- يُقلّل عددُ الهوامش والمصادر والمراجع بقدر الإمكان.
- يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عنايةً خاصّة.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدّم إن رأت ذلك ضرورياً.
- تعتذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.

* الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربي.

منتدى الفكر العربي

ص.ب: ٩٢٥٤١٨
عمّان ١١١٩٠ - الأردن
تلفون: ٥٦٧٨٧٠٧/٨ (٦-٩٦٢+)
ناسوخ (فاكس): ٥٦٧٥٣٢٥ (٦-٩٦٢+)

ARAB THOUGHT FORUM

P.O. Box: 925418
Amman 11190 - Jordan
Tel: (+962-6)-5678707/8
Fax: (+962-6) 5675325

E-mail: *atf@nic.net.jo*
URL:*www.almuntada.org.jo*

سعر النُسخة: ديناران أردنيّان (ثلاثة دولارات أمريكيّة)

مفكرة المنتدى

٨ كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠٠٣ عمّان

حفل افتتاح المقر الدائم للمنتدى

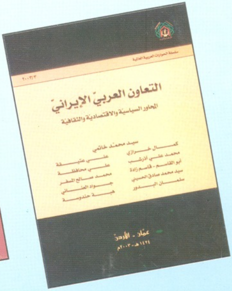
٨ - ٩ كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠٠٣ عمّان

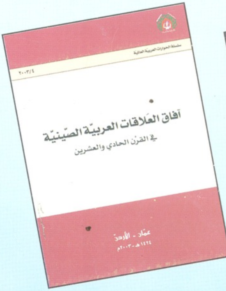
النّدوة الفكريّة «أسس تقدم الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين»

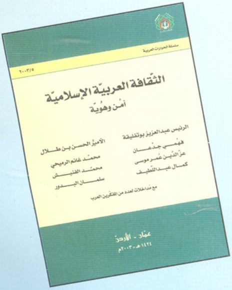
١٠ كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠٠٣ عمّان

اجتماع مجلس الأمناء واجتماع الهيئة العامة

صدر حديثاً عن منتدى الفكر العربيّ







تُطلب هذه الإصدارات من منتدى الفكر العربيّ مباشرة.

سعر النسخة الواحدة : سبعة دنانير أردنية (عشرة دولارات امريكية)؛ يضاف إليها أجور البريد.